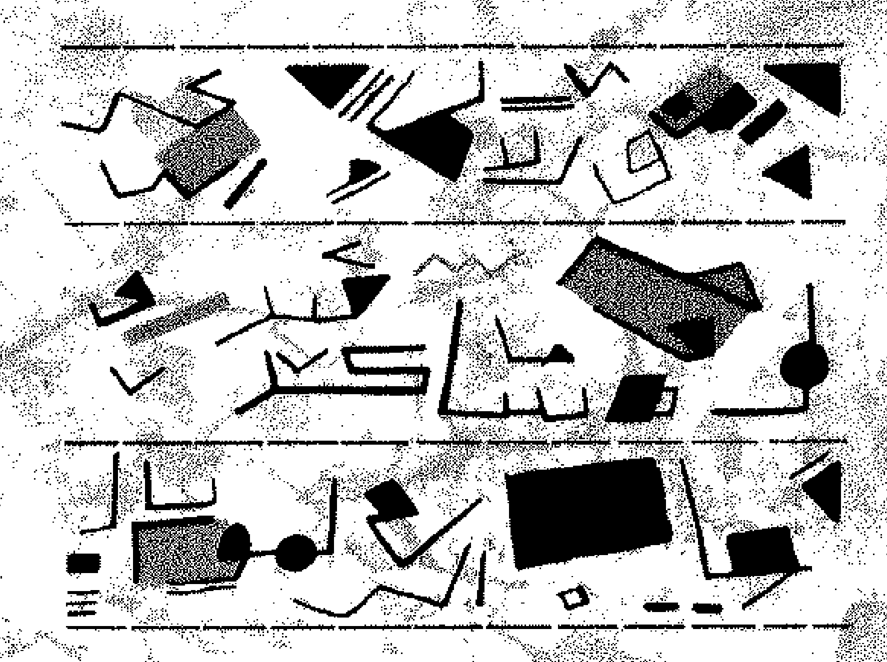
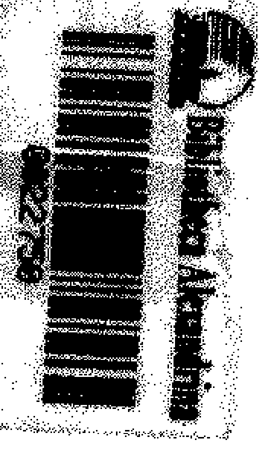
الدكتور رفيق خليل عطوي

صناعة الكتابة

علم البيان . علم المعاني . علم البديع





دار العلم للملايين

صناعة الكتابة

علم البيان . علم المعاني . علم البديع

صناعة الكتابة

علم البيان، علم المعاني، علم البديع

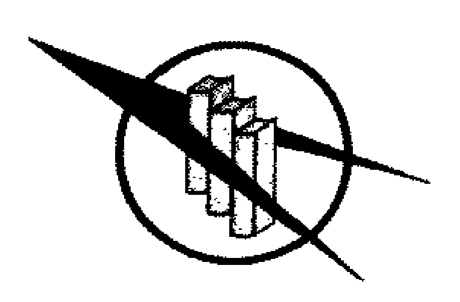
تأليف

الدكتور رفيق خليل عطوي

أستاذ الأدب العربي في الجامعة اللبنانية

دار العلم للملايين

دار العلم للملايين
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر
شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب ١٠٨٥ - تلفون: ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩
برقياً: ملايين - تلكس: ٢٣١٦٦ ملايين
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
حزيران / يونيو ١٩٨٩

تمهيد

كيف أفهم الكتابة ؟

كيف أصنع الكتابة ؟

كيف أفهم الكتابة

أجمع علماء البلاغة على القول إن البلاغة هي إنهاء المعنى إلى قلب السامع وتمكينه في نفسه ، شريطة أن يكون المعنى مفهوماً واللفظ مقبولاً .

والبلاغة في الواقع صفة للكلام لا صفة للمتكلّم . ولئن وَرَدَ استعمال شائع في قولنا : فلان بليغ ، فذلك على سبيل التجوّز لا على سبيل الحقيقة التي تفيد أنّ كلامه بليغ . قال تعالى : ﴿ حكمة بالغة ﴾[1] فجُعِلَتْ صفة البلاغة للحكمة وليس للحكيم .

وتفيد البلاغة كذلك معنى « التبليغ » كما ورد في قوله تعالى : ﴿ هـذا بلاغ للناس ﴾[2] . بمعنى أن الآيات البينات بمثابة تبليغ للناس أجمعين .

وإذا كان العتّابيّ يرى أنّ « كلّ مَنْ أَفْهَمَكَ حاجته فهو بليغ » ، فذلك عبر الألفاظ الحسنة والواضحة ، وإلا لكان مضمون كلامه يشتمل على بلاغة إشارات العييّ والأخرس والأعجمي ، وكل منهم قادر على إبلاغ حاجته إلى ذوي الفطنة والإدراك السليم ، ولكن قد لا يتأتّى ذلك الفهم لكل الناس . من هنا كان المعوَّل في إبلاغ الغاية وإيصال المعنى يقوم على اللفظ الحسن وتمكينه في نفس السامع . ومع ذلك ينبغي أن يكون هذا المعنى متمكّناً في نفس صاحبه ، وإلا كان عاجزاً عن الإفادة والإبلاغ ، لأنّ فاقد الشيء لا يُعطيه ، خصوصاً وإن البلاغة هي بلوغ الشيء منتهاه . فإذا تعذّر على صاحب المعنى التمكّن من غايته ، فهو عاجز عن إنهائها إلى سواه .

---

(١) سورة القمر ، الآية ٥ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٥٢ .

والكلام في إطار البلاغة مشروط بصفات الحسن والقبول والجودة ، فكل كلام جمع صفات الجودة ولم يكن جزلاً فخماً سمّي بليغاً ، ولم يُسَمَّ فصيحاً ، لأن الفصاحة في مفهومها العام مقصورة على اللفظ .

فالفصاحة من قولهم : أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره كقول العرب : أفصح الصبح إذا أضاء ، وأفصح اللبن إذا انْجَلَتْ عنه رغوته فظهر وفصح ، وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين. لذلك كانت الفصاحة تمام آلة البيان ، فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلّق باللفظ دون المعنى .

غير أن ذلك لا يعني بُعْداً في الغاية بين الفصاحة والبلاغة ، تلك الغاية التي تكمن فيها الإبانة عن المعنى والإظهار له . غير أنّ جدلية العلاقة بين الفصاحة والبلاغة تصبّ في جدلية التفاضل والأسبقية بين الألفاظ والمعاني .

ههنا ، يستوقفنا البحث إزاء الألفاظ والمعاني .

في الألفاظ

خلق اللّهُ الإنسانَ ، علّمه البيان ، وجعل له في الحياة آيات بيّنات يسترشد بها الطريق ، مستفيداً من دلالاتها وأبعادها في عملية تفاعل حتمي بين الكائنات بشراً وشجراً وحجراً . ولكل منها دلائل وتعبيرات ، منها ما يظهر جهاراً ، ومنها ما يظهر اعتباراً .

والإنسان وحده القادر على التعبير بما خصّه الله من آلة البيان ، عنيت اللسان : ﴿خلق الإنسان. علّمه البيان﴾، وآلة الكتابة: ﴿الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم﴾[1] فسبحان الله.

وللكلام في حياة الإنسان خصوصية معيّنة . فبالكلام استطاع أن يخاطب الأقربين والأبعدين ، ويعبّر عن كل ما يخالجه من آراء وأفكار ، فقربت المسافة بينه وبين الآخرين : يقول ويسمع ، ويعبّر ، وينقد ويجادل . غير أن ذلك بحاجة إلى أصول ومقومات كي يؤدّي الكلام مؤدّاه ويبلغ المعنى غايته.

---

(١) سورة العلق ، الآيتان ٤ و٥ .

فمن أولى مقومات الكلام أن يكون سلساً ، سهل المتناوَل ، كي يكون حسن الموقع ، مشرق الأداء ، بعيداً عن التقعّر الذي يؤدي إلى التعقيد الموصل إلى الإرباك الحتمي لطبيعة المعنى . وكل ابتعاد عن التكلّف في اللفظ يساعد على أداء المعنى بصورة أكثر وضوحاً ، لأن الكلام إذا اتّصف بالعذوبة والسلاسة وسَلِمَ من حيف التكلّف، وبَعُدَ عن السماجة والخَلَل في التركيب ، يأخذ طريقه إلى قلب السامع أو القارىء ، ويبلغ مداه في التعبير الواضح الصحيح . فكلما كان اللفظ مألوفاً والمعنى معروفاً ، هدأت النفس إلى استساغة الغرض وتبيّنت القصد . ولولا ذلك لاضطرب الفهمُ نتيجةً لاضطراب الألفاظ . وتلك عاقبة ينبو عنها الذوق السليم والفهم القويم .

بعد ذلك ، ترتكز أهمية الكلام في اختيار المناسب منه لأداء ما يناسبه من المعاني ؛ فالألفاظ أوعية المعاني ، تلك حقيقة لا شك فيها ، شريطة أن تكون هذه الألفاظ بعيدة عن الغثاثة والاستغلاق والإبهام . فأجود الكلام ما كان جزلاً سهلاً غير متوعِّر ولا متقعِّر ، لسلامة المعاني التي يحتويها من الردّ والرثاثة مهما بلغت من النبل والفضل . فكلما غثّ اللفظ رثّ المعنى . وحُسن الكلام دليل على حُسن صانعه وجودة فهمه للأصول البيانية والهادفة إلى التوضيح وحسن الإبلاغ . فلو أنّ أحداً سمع من الشعر هذا القول :

ولمّا قضينا من منى كل حاجة	ومسّح بالأركان من هو ماسحُ
وشدّتْ على حُدْب المهارى رحالنا	ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا	وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

لاسْتساغه واستحسنه ، لسهولة ألفاظه ورونقها ، مع أن المعنى ليس مبدعاً ، وإنما هو بمثابة تقرير عن حال الحج وقد قضوا في منى مناسكهم ، فمسّحوا بالأركان ، وشدُّوا الرحال على مهازيل الإبل ، فلم ينتظر بعضهم بعضاً ، وساروا في بطون الأودية يتجاذبون الأحاديث .

وسهولة الكلام لا تعني الإسفاف والبعد عن الجودة والجزالة . فأجود الكلام ذلك الجزل المختار الذي تعرفه العامة إذا سمعته ، لكنها لا تستعمله في محاوراتها ، وإذا حاولتْ ذلك عَجِزَتْ عن بلوغه . فالكلام المفهوم ليس الكلام

السوقي ، بل هو الكلام الذي يفهمه السوقي ويدرك مضمونه ، ولكنه لا يستطيع الإتيان بمثله . ومثال هذا الكلام قول محمد ابن وُهيب الحميريّ :

ما زال يُلثمني مراشِفَه ... ويعلّني الإبريقُ والقَدَحُ
حتى استردَّ الليلُ خِلقتَهُ ... وبدا خلال سواده وضَحُ
وبدا الصباح كأنّ غرّته ... وجه الخليفة حين يمتدحُ
أنت الذي بك ينقضي فرجاً ... ضيقُ البلاد لنا وينفسحُ
نَشَرَتْ بك الدنيا محاسنَها ... وتَزَيَّنَتْ بصفاتِكَ المِدَحُ

فهذا الكلام سهل اللفظ عذب المستمع ، مطمع ممتنع ، بعيد مع قربه ، صعب في سهولته . وإنّ ظنّ أحد أنه يكتب مثله ، تعذّرت عليه ألفاظه إذا رامها .

والكلام دليل على المتكلّم . لأن من شروط البلاغة أن يكون الكاتب قادراً على الإلمام بجميع ضروبه ، وملمّاً بفنونه كافة . وما ينطبق على النثر ، ينطبق كذلك على الشعر . من هنا قيل : « أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب » .

والكاتب الحذق يلوّن في أسلوبه ، فيكتب بأسلوب جزل مرة ، ثم يأتي بأسلوب سهل أخرى ، فيلين حيث ينبغي اللين ، ويشدّد حيث تنبغي قوة السبك . ولهذا كان فضل جرير على الفرزدق ، وتَقَدُّمُ أبي نواس على مسلم[1] .

ومن مميّزات الكلام استواء تقاسيمه ، وتعادل أطرافه ، وهو ما تعارف العلماء على تسميته بصحة التقسيم . ذلك لأن من سوء صناعة الكتابة : سوء التقسيم وفساد التفسير وقبح الاستعارة وفساد النسج والسبك .

وقد عرّف أبو هلال العسكري في كتابه « الصناعتين » التقسيم الصحيح بأن يُقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه[2] .

ويرى بعضهم أن التقسيم هو استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به[3] .

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ١٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .
(٣) العمدة ٢ / ٢٠ .

من هنا تبرز أهمية التقسيم في استيفاء المعنى ؛ لأن الكلام إذا أصابه عيب من عيوب التقسيم ، أو خلل في حسن السبك والتركيب انسحب هذا الخللُ على طبيعة المعنى ، وتعثّر في البروز والبيان . وذلك التزاماً بطبيعة التقسيم القائمة على استيفاء المتكلّم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه .

في المعاني

أما فيما يتعلّق بالمعنى ، فتجدر الإشارة في البدء إلى أن المعاني موجودة في أبصار الناس وبصائرهم . لكن الفضل في تحديدها وتأكيدها يعود إلى براعة الكاتب أو الشاعر في الاستفادة منها ، وعرضها بأسلوب يجلو الفكرة ، ويقلبها على وجوه ، ويخرجها إخراجاً فيه من الجدّة والبهاء ما يجعلها متفرّدة في أسلوب صاحبها .

والمعاني في الأساس تقوم على قاعدة الصواب ، بمعنى أن يكون المعنى صحيحاً واقعيًّا معقولاً ومقبولاً . فمهما حاول الكاتب أن يتلاعب بالمعنى بواسطة اللفظ، فلا بد أن تكون معانيه منطلقة من أساس الصدق والواقع. وإذا حاول خلاف ذلك مستعملاً أجمل الألفاظ والتراكيب ، فإن ذلك لن يغيّر حقيقة الصواب في المعنى .

وللمعاني وجوه تترجّح فيها حسناً وقبحاً وكذباً حتى تبلغ مرحلة الاستحالة .

فمن المعاني ما هو مستقيم حسن ، كقولك : رأيت زيداً ؛ ومستقيم سيّء ، كقولك : قد زيداً رأيت ، فالتقديم أو التأخير في الألفاظ لم يخدم المعنى بل أساء إليه وأوقعه في الإرباك ؛ ومنها مستقيم كاذب ، كقولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر ؛ ومنها محال ويدخل في إطار الكذب ، كقولك : أتيتك غداً وآتيك بالأمس ؛ ومنها محال مطلقاً ، كقولك : الدنيا في بيضة ؛ ومنها محال كذب ، كقولك : رأيت زيداً قائماً قاعداً ؛ ومنها الغلط إذا جاء الكلام بطريق الخطأ ، كقولك : ضربني زيد . وأنت تريد : ضربتُ زيداً . أما إذا كان ذلك عن طريق القصد فإنه كاذب[1] .

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ٥٠ .

لذلك ينبغي التنبيه على بعض أخطاء المعاني بغية الاستفادة منها وعدم الانزلاق فيها ، خصوصاً أن من لا يعرف الخطأ كان جديراً بالوقوع فيه .

قال امرؤ القيس :

ألم تسأل الربع القديم بعسعسا   كأني أنادي إذ أكلّم أخرسا

فلا يقال : كلّمت حجراً ، ولم يجب ، فكأنه كان حجراً .

قال المرقش الأصغر :

صحا قلبه عنها على أنّ ذِكرةً   إذا خَطَرَتْ دارَتْ به الأرض قائما

فكيف صحا عنها ، وهو يعترف بأنه إذا ذكرت له دارت به الأرض .

وهذا كثيّر عزّة في غفلة الحب يقول:

ألا ليتنا يا عَزُّ من غير ريبة   بعيران نرعى في خلاء ونُضرب

كلانا به عُرٌّ فمنْ يَرَنا يَقُلْ   على حسنها جرباء تُعدي وأجرب

فهل يُعقل مثل هذا الغزل العذري ؟ ثم كيف يدعو لحبيبته بالشقاء الطويل والعذاب في مرض الجَرَب . إنها غفلة من غفلات الشعراء العذريين .

وقال الشمّاخ :

بانت سعاد وفي العينين ملمول   وكان في قِصَرٍ من عهدها طولُ

والصحيح أن يقول : وكان في طول من عهدها قِصَر ، لأن العيش مع الأحبة يوصف بقصر المدّة .

وقال أبو نواس في وصف عين الأسد :

كأنما عينه إذا نظرت   بارزة الجفن عينُ مخنوق

فوصف عين الأسد بالجحوظ ، وهي توصف بالغؤور.

كيف أصنع الكتابة؟

مما لا شك فيه أن كل إنسان عاقل تمور في خاطره أفكار وفي ذهنه آراء يعمد إلى إخراجها من دائرة الذاتية والخصوصية إلى دائرة الضوء ، فيعلنها بواسطة ألفاظ تناسبها .

ولذلك تنطلق الكتابة من خطور أفكار وآراء في ذهن الكاتب ، خصوصاً فيما يتعلّق بالموضوع الذي يكون محور كتابته ، إذ لا يمكن للذهن الخلو من الأفكار أن يصنع كتابة لأن الكتابة في الأساس وسيلة من وسائل التعبير . وبقدر ما تكون هذه الأفكار ضاغطة في البال، واضحة في الذهن، يتمكّن صاحبها من الإتيان بما يناسبها من الألفاظ ؛ هذا إذا كان من أهل الكتابة والشعر ، لأن الجاهل بأمور الكتابة لا يقوى على تلبية الحاجة إلى التعبير ، ونقل الأفكار التي تعتمل في ذهنه .

وينبغي للكاتب أن يستجمع أفكاره على القرطاس ولا يبقيها في الذهن ، لأن انشغال الأفكار بأمور طارئة وعارضة تبعاً لمتطلبات التفاعل الحتمي مع الحياة والناس ، يؤدّي إلى نسيان بعض هذه الأفكار والآراء . وكلما بعُدت هذه الأمور العارضة في أغوار الذهن صعب تناولها وانحرف الذهن جاهداً في تذكُّرها واستحضارها من جديد . وربما يتمكّن جزئيًا من ذلك ، لكن بسريق بروزها إبّان استحضارها ليس بمستوى تألّقها إبّان حضورها .

ولعل أبرز أوقات الكتابة هي أوقات النشاط والهمّة ، حين يكون الذهن حاضراً لالتقاط المؤثّرات الداخلية والخارجية ونقلها إلى العقل كي يتولّى تنسيقها وسكبها في قوالب الألفاظ المناسبة لها . كما يساعد هذا النشاط على السعي لتلمّس الأفكار المتعلّقة بالفكرة الرئيسة ، وهي الفكرة الأم التي تشكّل محور الكتابة ،

والتي تكون بمثابة الضوء المشعّ في أرجاء الذهن ، فتتكشّف العلائق ، وتتوضّح الروابط بين الأصل والفرع ، فلا يتدخّل أصل في فرع لا يعنيه ، ولا يتأخّر فرع عن أصل ، بينهما قُربى وانتساب . إن هذا هو الذي يشكّل صورة الوعي المتلألىء في إطار الموضوع المقصود . فمن عَرَفَ غرضه في البدء ، أعَدَّ له العدّة ، وخاض غماره باللفظ المطلوب والاستعداد الموهوب . وبذلك يبتعد الكاتب عن خطأ الزلل في المعاظلة والابتعاد عن القصد والخروج على الموضوع المطروق .

وينبغي في الكاتب كي تجود كتابته ويصفو بيانه أن يأخذ بكل لفظ حسن يَخْطُر له، ويدوّن كل معنى بديع، لئلا يفوته اللفظ ويسبقه المعنى فيقعد ملوماً محسوراً. فلا تستقيم بعد ذلك كتابته ، وتبقى على التواء ، مهما بذل من جهد التعويض أو البحث عما ضاع منها . لأنه كلما جدَّ في البحث وكدَّ في التنقيب عما سبقه . فإنه قد يتعلق بأذيالها ، لكنه لن يبلغ مداها ، كما قال الشاعر :

إذا ضَيَّعْتَ أوّلَ كلّ أمر أبَتْ أعجازُهُ إلاّ التواءا

أما إذا أصاب الكاتبَ مللٌ ، وغَشي هِمَّتَه فتورٌ ، فلا ينبغي له أن يستمر في كتابته ، لئلا ينسحب الفتور على تعبيره ، والقصور على لفظه ، فيجني على الفكرة ، وتأتي كتابته على غير ما يرام . لأن الخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء . فإذا طاف سيلها طغى وأفسد .

ويجب على الكاتب أن يتتبع الفكرة كي يبلغ منتهاها ؛ فلا يترك لخواطره أن تتزاحم في ناحية معينة ، فتصرفه عن التركيز فيما بدأه ، لذلك يكون من الأسلم والأجدى أن ينسّق هذه الخواطر ، ويستدعي منها ما يخدم موضوع بحثه ، ولا سيما أنّ الإنسان يتفاعل فيه ألف تيّار وتيّار ، وتتجاذبه جملة من المتطلبات النفسية والاجتماعية . ولهذا تقاس بلاغة الكاتب بمدى قدرته على تتميمَ معناه ، ومتابعة ملحقاته من أفكار أخرى فرعية هي بمثابة روافد تصبّ في معين الفكرة الرئيسة .

ولا يتأتّى للكاتب أن يدرك معارج البلاغة ، إلا إذا كان عارفاً بأمور اللغة العربية ، نحواً وصرفاً وبياناً . وكل حديث عن أهمية « السليقة » أو الفطرة وحسب في شأن الكتابة يبقى أمراً قابلاً للجدل ، ومجالاً يحتمل القبول والرفض . فاتقان علوم العربية شريك فاعل في صناعة الكتابة التي تقوم أساساً على هذا العلم والدربة، ولا سيما العلم بصحيح الألفاظ وإصابة المعنى . فالإعراب بيان معنى

الباب الأول

علم البيان

تمهيد

البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى . لأن مدار الغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام[1] .

وربما كان عبد القاهر الجرجاني صاحب كتاب «أسرار البلاغة» هو واضع علم البيان ، كما وضع في كتابه « دلائل الإعجاز » نظرية علم المعاني .

والواقع أن « البيان » أطلق في البدء للدلالة على الكشف والإبانة عن المعاني القائمة في صدور العباد ، المتصوّرة في أذهانهم ، بغية تقريبها من الفهم ، وتجليها للعقل .

وقد حدّد الجاحظ في « البيان والتبيين » أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، وحدّدها بخمس هي[2] اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال (وتسمى الحال النصبة ، والنصبة هي الحال الدالّة التي تقوم مقام تلك الأصناف).

وقد ورد لفظ « البيان » في القرآن الكريم بمعنى الإيضاح :

قال تعالى : ﴿ يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾[4] .

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٢٦ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١٥ .

وقال تعالى : ﴿ خلق الإنسان علّمه البيان ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾[2] .

وورد البيان كذلك في القرآن الكريم بمعنى شرح المجمل وإيضاح المبهم . قال تعالى : ﴿ثمّ إنّ علينا بيانه ﴾[3] . وجاء في الحديث النبوي الشريف : « إنّ من البيان لسحراً » ، وذلك في معرض قوة الحجة ، وإثارة الإعجاب .

ويقول ابن خلدون في مقدّمته : « إنّ علم البيان علم حادث في الملّة »[4] . ثم إن الدكتور بدوي طبانه أشار في كتابه « البيان العربي » إلى أن علم البيان كان من العلوم التي تولّى غَرْسها المسلمون في سبيل فهم كتابهم العزيز ، والذبّ عن قرآنهم . وكان نماؤه بعد ذلك ، وتَشَعُّب مباحثه بتأثير الدين ، وبتوجيه المفكّرين من حَمَلَته ورجاله[5] .

وقد تواضع العلماء على تقسيم علم البيان ثلاثة أقسام :

أ ـ التشبيه .

ب ـ المجاز والاستعارة .

جـ ـ الكناية .

---

(١) سورة الرحمن ، الآية ٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٣٨ .

(٣) سورة القيامة ، الآية ١٩ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٤٥ .

(٥) البيان العربي ، ص ١٣ .

التشبيه

التشبيه[1] هو بيان أنَّ شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدّرة ، لغرض يقصده المتكلم .

مثال ذلك قول المتنبي واصفاً مشية الأسد :

يطأ الثرى مترفّقاً من تيهه ... فكأنّه آسٍ يجسّ عليلا

أو قول آخر :

تنصبّ فيها وفود الماء معجلةً ... كالخيل جارية من حبل مُجريها

أو كقول الخنساء :

وإنّ صخراً لتأتمّ الهُداة به ... كأنه علم في رأسه نار

أركان التشبيه

أركان التشبيه أربعة :

(١) المشبَّه
(٢) المشبَّه به } وهما : طرفا التشبيه .

(٣) أداة التشبيه .

(٤) وجه الشبه .

نحو : أنت مثل حاتم جوداً .

---

(١) راجع كتاب الصناعتين، ص ١٨٠ .

- أنت : المشبه .
- حاتم : المشبَّه به .
- مثل : أداة التشبيه .
- جوداً : وجه الشبه .

تجدر الإشارة إلى أن من أركان التشبيه ما يجوز حذفه ، كالأداة ، ووجه الشبه . أما إذا حذف أحد طرفي التشبيه ، المشبَّه أو المشبَّه به ، فلا يبقى التشبيه تشبيهاً بالمعنى المتّفق عليه ويتحول في هذه الحال إلى استعارة[1] .

أدوات التشبيه

أدوات التشبيه أنواع . فقد تكون : حروفاً، أو أسماء أو أفعالاً .

١ - **الحروف** : وتنحصر في الكاف وكأنّ .

أ - الكاف : هي الأصل ، وتتعلّق بالمشبَّه به ، مثلاً :

كالبدر من حيث التفتَّ رأيته يُهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا

ب - كأنّ : تدخل على المشبَّه ، أو تتعلّق به ، مثلاً :

وكأنّ الشمس المنيرة دينا رٌ جَلَتْه حدائدُ الضُرّابِ

٢ - **الأسماء** : الأسماء المفيدة للتشبيه كثيرة منها : شِبْه ، ومثل ، ونحو ، ومماثل ، ومشابه ، وما رادفها من الأسماء .

٣ - **الأفعال**: والأفعال التي تفيد التشبيه كثيرة منها: يماثل، ويشابه، ويضارع، ويحاكي، وما في هذا الإطار من الأفعال.

أنواع التشبيه باعتبار الأداة[2]

يقسم التشبيه بالنسبة لذكر أداته أو حذفها قسمين :

أ - إذا ذكرت الأداة: فالتشبيه يسمى تشبيهاً مرسلاً، نحو: خالد كالبحر عطاءً.

---

(١) راجع نقد الشعر ، ص ١٠٨ .

(٢) كتاب الصناعتين ، ص ١٨٩ .

ب ـ إذا حذفت الأداة : فالتشبيه يسمى تشبيهاً مؤكداً :

أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقاً وغربا

وجه الشبه

تعريفه : هو المعنى أو الوصف المشترك بين طرفي التشبيه سواء كان هذا المعنى حقيقيًا أم متخيَّلاً. وينبغي أن يكون أقوى وأظهر في المشبّه به منه في المشبّه.

فإذا كان المعنى حقيقياً، أي يقع تحت الحس، نحو : « ثوب سمير ناصع كالثلج »، فإننا نستنتج مباشرة أن ثوب سمير أبيض ، لأن لون الثلج كذلك . فالصفة الجامعة بين الثوب والثلج لون البياض ، وكلاهما تراه العين وتحس به . وإذا كان المعنى متخيّلاً، وهو ما يدرك بالعقل ، نحو : « أخي بحر في العطاء » ، فإننا ندرك في المثال أن أخي (المشبَّه) كريم ، وأن البحر (المشبَّه به) يعني السعة والامتداد . فالمعنى الجامع بين أخي والبحر هو العطاء أو الكرم ، وقد تجلّى هذا المعنى في البحر حقيقة ، وتجلّى في أخي على أساس التخيّل والتأويل . بمعنى أنها تدرك بالعقل .

ومثله أيضاً قول الشاعر :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فوجه الشبه لا يدرك إلا بالعقل وبصعوبة.

أنواع التشبيه باعتبار وجه الشبه[1]

١ ـ التشبيه الذي يُذكر فيه وجه الشبه يسمى التشبيه المفصّل ، نحو :

كأن المعاني في فصاحة لفظها نجوم الثريا أو خلائقك الزُّهُرْ

فهنا ذكر الشاعر صفة الفصاحة ، وهي وجه الشبه بين المعاني والأخلاق .

٢ ـ التشبيه الذي لا يُذكر فيه وجه الشبه يسمى التشبيه المجمل ، نحو :

والشمس واضحةُ الجبين كأنها وجهُ المليحة في الخمار الأزرقِ

فهنا لم يذكر الشاعر وجه الشبه بل اكتفى بذكر المشبَّه والمشبَّه به . والحقّ أن

---

(١) البلاغة وفنون القول ، ص ٩١ .

وجه الشبه المحذوف يُفهم من معنى البيت وهو عبارة عن شيء جميل مستدير يبدو خلال شيء أزرق .

أنواع التشبيه باعتبار طرفيه إفراداً وتركيباً[1]

التشبيه باعتبار طرفيه من حيث الإفراد والتركيب أربعة أنواع :

١ ـ تشبيه مفرد بمفرد : أي أن يكون المشبَّه مفرداً ، والمشبَّه به مفرداً كذلك ، ومعنى المفرد هنا غير المركَّب . مثال ذلك قولك : ثغر كالدرّ . فالمشبَّه (الثغر) جاء مفرداً . والمشبَّه به (الدرّ) جاء مفرداً أيضاً .

٢ ـ تشبيه مركَّب بمركَّب : أي أن يكون المشبَّه صورة مركبة والمشبَّه به صورة مركبة كذلك . والصورة المركبة عبارة عن عدد من العناصر المتشابكة المكونة لها ، نحو قول الشاعر :

كأن سهيلاً والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامُها

فالمشبَّه هنا هو (النجم سهيل مع النجوم الأخرى المتراصة خلفه) والمشبَّه به هو (المصلّون في صفوف متراصة خلف إمام) .

٣ ـ تشبيه مركَّب بمفرد : أي أن يكون المشبه صورة مركبة ، والمشبه به مفرداً ، نحو :

وما المال والأهلون إلا ودائعُ ولا بدّ يوماً أن تُردّ الودائعُ

فالمشبَّه هنا صورة مركَّبة : (المال والأهلون) .
والمشبَّه به مفرد : (الودائع) .

والصورة المركَّبة : (المال والأهلون) تظهر ملامحها في المقطع الثاني من البيت ، حيث أشار الشاعر إلى أن هذه الودائع ستعود إلى صاحبها الأصلي وهو الله رب العالمين .

٤ ـ تشبيه مفرد بمركَّب : أي أن يكون المشبّه مفرداً والمشبَّه به مركّباً، نحو

---

(١) كتاب الصناعتين ، ١٨١ ـ ١٨٢ .

قولك : الزهرة الحمراء مثل خدّ عذراء في لحظة حياء . فالمشبَّه (الزهرة) مفرد ، والمشبَّه به صورة مركبة من خدّ العذراء في لحظة حياء أي يكون شعوراً مضطرباً أو خجلاً من أمر غير مستطاب .

أنواع التشبيه باعتبار مادّة الطرفين[1]

التشبيه باعتبار مادّة طرفي التشبيه أربعة أنواع :

١ ـ **حسّي بحسّي** : بمعنى أن المشبّه والمشبَّه به يكونان مما يقع عليهما الحسّ ، أي السمع والبصر والذوق والشم واللمس، نحو : قوامها كالخيزران استقامة .

فقوام الحبيبة شيء يُحسّ ويُرى ، وهو المشبَّه . والخيزران مما يحس ويُرى وهو المشبَّه به . فهنا جاء طرفا التشبيه (المشبَّه والمشبَّه به) حسّيّين .

٢ ـ **عقليّ بحسّيّ** : أي أن يكون المشبَّه عقليًا والمشبَّه به حسّيًا، نحو : العلم مقبرة الجهل . فالعلم أمر عقليّ وهو المشبَّه ، والمقبرة أمر حسيّ وهو المشبَّه به . فهنا جاء المشبَّه عقليًا ، والمشبَّه به حسّيًا .

٣ ـ **حسّيّ بعقليّ** : أي أن يكون المشبَّه حسيًا والمشبَّه به عقليًا، نحو قول القاضي التنوخي :

وكأن النجوم بين دجاها سُنَنٌ لاح بينهنّ ابتداعُ

ورد هنا المشبَّه (النجوم) مما يقع عليه الحسّ ، أي البصر ، في حين أن المشبَّه به (السُّنَن) أمر عقلي .

٤ ـ **عقليّ بعقليّ** : أي أن يكون المشبَّه أمراً عقليًا والمشبَّه به أمراً عقليًا كذلك، نحو قولك : إنّ العلم كالحياة . فالمشبَّه (العلم) هو أمر عقليّ ، والمشبَّه به (الحياة) هو أمر عقلي كذلك ؛ أي أن طرفي التشبيه عقليّان .

---

(١) أسرار البلاغة ، ص ١٠٠ وما بعدها .

أنواع التشبيه بالنسبة لتعدّد الطرفين

قد يعمد بعض الكتاب أو الشعراء إلى تشبيه عدة أشياء مفردة بعدة أشياء مفردة ، فينبثق عنها أنواع أخرى من التشبيه منها[1] :

١ ـ التشبيه الملفوف : وفي هذا التشبيه يتعدّد المشبّه ويؤتى به أولاً ، ويتعدّد المشبّه به ويؤتى به ثانياً ، نحو قول امرىء القيس:

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّابُ والحَشَفُ البالي

فجاء المشبّه به متعدّداً : قلوب الطير رطباً ويابساً ، كما جاء المشبّه به متعدّداً أيضاً : العناب والحشف البالي . فالشاعر قد شبّه قلوب الطير الرطبة بالعنّاب ، وقلوب الطير اليابسة بالحشف البالي .

والفرق بين التشبيه الملفوف والتشبيه المركب أن الأول يمكن أن تستغني عن بعض أجزائه ، ولكن الثاني لا يمكن أن تستغني عن جزء من صورته . وقد سمي ملفوفاً لالتفاف المشبّه على بعضه في جهة ، والتفاف المشبّه به على بعضه في جهة أخرى .

٢ ـ التشبيه المفروق : وفي هذا التشبيه يتعدّد المشبّه ويتعدّد كذلك المشبّه به . ولكننا نجمع فيه كل مشبّه مع المشبّه به التابع له ، وذلك بخلاف التشبيه الملفوف . وبذلك نفرّق بين المشبّهات المجتمعة في جهة والمشبّهات بها المجتمعة في جهة أُخرى .

ومن ذلك قول المرقّش :

النشر مسكٌ ، والوجوه دنا نير وأطراف الأكفّ عَنَمْ

فجاء المشبّه الأول (النشر) مع المشبّه به الأول (المسك) ، ثم المشبّه الثاني (الوجوه) مع المشبّه به الثاني (دنانير) ، ثم المشبّه الثالث (أطراف الأكفّ) مع المشبّه به الثالث (عَنَم) .

---

(١) نقد النثر، ص ٥٨ ـ ٥٩.

٣ ـ تشبيه التسوية : وفيه يتعدّد المشبَّه وحده ، ويبقى المشبَّه به مفرداً . مثلاً : شعر حبيبتي وحظي كالليل . أو كما قال الشاعر :

شعر الحبيب وحالي كلاهما كالليالي
وثغره في صفاءٍ وأدمعي كاللآلي

فـ (شعر الحبيب) و (حالي) كلاهما مشبَّه ، و (الليالي) مشبَّه به . وكذلك في البيت الثاني : (ثغره) و (أدمعي) كلاهما مشبَّه ، و (اللآلي) مشبَّه به .

٤ ـ تشبيه المُتعدِّد : وهو عكس تشبيه التسوية السابق ، لأن المشبَّه ههنا مفرد ، والمشبَّه به متعدّد . مثلاً : حبيبتي كأنها الشمس في إشراقها ، والغصن في قدّها ، والمهاة في عينيها . نلاحظ في هذا المثال : أن كلمة (حبيبتي) ، وهي المشبَّه ، قد وردت مفردة ، ثم ورد بعدها عدد من المشبَّهات بها : الشمس والغصن والمهاة .

أنواع التشبيه

١ ـ التشبيه البليغ

هو تشبيه حُذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه . كقول الشاعر :

عَـزَمـاتهم قُضُبٌ ، وفيض أكفِّهم سُحُبٌ ، وبيض وجوههم أقمارُ

ومن التشبيه البليغ ما أضيف فيه المشبَّه به إلى المشبَّه ، نحو : لبس فلان ثوب الطهارة ؛ أي أن الطهارة كالثوب . ومنه قول الشاعر :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهبُ الأصيل على لُجين الماء

أراد : أن الأصيل كالذهب والماء كالفضة .

ومن التشبيه البليغ أيضاً أن يكون المشبَّه به مصدراً مضافاً مبيّناً للنوع ، نحو قول أبي تمام :

سما للعُلا من جانبيها كليهما سموَّ عُباب الماء جاشت غواربُهْ

ومن أمثلة التشبيه البليغ عموماً : الحاكم ميزان الله في الأرض .

والتشبيه البليغ هو أرقى أنواع التشبيه إذ يجعل المشبَّه نفس المشبَّه به .

٢ ـ التشبيه الضمنيّ[١]

تشبيه لا يأتي على صورة من صور التشبيه المعروفة وإنما يُلمح من خلال التركيب ، بغية الابتكار وإقامة الدليل على أن الحكم الذي أُسند للمشبَّه ممكن . ومن ذلك قول المتنبي :

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنت منهم ... فإن المسكَ بعضُ دم الغزالِ

فقد شبّه الشاعر ضمناً ممدوحه الذي يَفْضُل جميعَ الناس ، وهو واحد منهم ، بالمسك الذي يَفْضُل جميعَ دم الغزال مع أنه بعضه. ولكنه لم يقل صراحة ذلك بل أتى بجملة مستقلّة تضمّنت المشبَّه به الذي يبين الغرض .

ومثله قول أبي تمام :

اصبر على كيد الحسود ... فإنّ صبرك قاتلُهْ

فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكلُهْ

ومثله أيضاً قول أبي فراس :

سيذكرني قومي إذا جدّ جدُّهم ... وفي الليلة الظلماء يُفتقد البَدْرُ

ومثله أيضاً :

وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

ومثله أيضاً قول ابن الرومي :

وبلاه إن نظرت وإن هي أعرضت ... وقعُ السهام ونزعُهنّ أليمُ

٣ ـ التشبيه التمثيليّ[٢]

يسمّى التشبيه تمثيليًا إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدّد أو مركب . من ذلك قول بشّار بن بُرْد :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

---

(١) راجع : البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، لبكري شيخ أمين ، ص ٥٣ .
(٢) أسرار البلاغة ، ص ٢٣٢ .

الشاهد في هذا البيت أن وجه الشبه هو عبارة عن صورة مكوَّنة من أمور كثيرة هي السواد الكثيف الذي يتخلله بياض لامع في كل من طرفي التشبيه . ذلك لأن الشاعر يشبه مثار النقع مع الأسياف بالليل مع الكواكب لوجود تلك الصورة المشتركة بين الطرفين . من هنا ندرك سبب تسمية التشبيه الذي يكون فيه وجه الشبه منتزعاً من متعدد أو مركب تشبيهاً تمثيليًّا .

ومثله قول المتنبي :

يهزّ الجيشُ حولك جانبيه ... كما هزّت جناحيها العقابُ

ومثله قول البحتري :

وتراه في ظُلَم الوغى فتخاله ... قمراً يكرّ على الرجال بكوكبِ

ومثله قول الأخطل الصغير في وصف المسلول :

عيناه عالقتان في نفق ... كسراج كوخ نصف مُتّقِدِ

٤ ـ التشبيه المقلوب

الأصل في التشبيه أن يكون المشبَّه به أكثر بروزاً من المشبَّه . غير أن من الممكن أن يكون بين طرفي التشبيه تفاوت شديد في الوصف الذي لأجله يشبَّه به ، فيُلحق الناقص بالزائد مبالغة ودلالة على أنه يَفْضُل أمثاله فيه . ويصبح بذلك المشبَّه به مشبَّهاً ، والمشبَّه مشبَّهاً به .

ومثال ذلك قول أبي نصر سعيد بن الشاة في تشبيه الرمان بالثدي[1] :

ورمانة شبهتها إذ رأيتها ... بثدي كعاب أو بحقة مرمرِ
منمنمةٍ صفراء نُضِّد حولها ... يواقيتُ حُمْرٌ في ملاءٍ معصفرِ

وكقول النابغة :

رُبّما تبيت أناملي ... يجتنين رمان النحور

فالأصل أن يشبَّه الثدي بالرمان . لكن الشاعر عمد إلى المبالغة في إظهار

(١) المصدر السابق، ص ٢٤٣ .

محاسنه فجعله مشبَّهاً به ، وجعل الرمان مشبَّهاً ، فقلب الأصل فجاء التشبيه مقلوباً .

ومثله قول محمد بن وُهيب الحميريّ :

وبدا الصباحُ كأن غرّته وجه الخليفة حين يمتدحُ

ومثله قول البحتريّ :

في طلعة البدر شيءٌ من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنّيها

ومثله قول ذي الرمة :

ورملٍ كأوراك العذارى قطعتُه إذا ألْبَسَتْه المظلماتُ الحنادسُ

أنواع التشبيه باعتبار القائل

التشبيه جزء من فكر الكاتب أو الشاعر لأنه من إبداعهما. غير أنه قد يكون عامًّا مشتركاً يستعمله الجميع ، أو خاصًّا يكون مقصوراً على صاحبه أو قائله .

فمن التشبيه العام المشترك : تشبيه العين بالنرجس ، أو الوجه بالبدر أو الشمس . فهذه تشبيهات معروفة يشترك في استعمالها غير واحد .

ومن التشبيه الخاص بقائله : تشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور ، كما في قول أحد الشعراء[1] :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاحيّة حين نَوَّرا

وتشبيه الثريا باللجام المفضَّض، كما قال ابن المعتزّ:

كأن الثريا في أواخر ليلها تفتُّح أنوارٍ أو لجامٌ مفضَّضُ

أو تشبيه الثريا بالوشاح المفصل :

إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرّضَ أثناء الوشاح المفصَّلِ

التشبيه بالرجال والأعلام

ملاحظة : اشتهر رجال في تاريخ العرب بصفات حميدة وأعمال خالدة ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

جعلتهم أعلاماً في ميدان فعلهم وأثرهم ، فذاع صيتهم بين الناس حتى صاروا مضرب الأمثال حتى يومنا هذا .

ومن هنا ، درج الناس على تشبيه الوفيّ بالسموأل[1] ، والكريم بحاتم[2] ، والعادل بعمر بن الخطاب[3] ، والحليم بالأحنف[4] ، والفصيح بسحبان [5] . والخطيب بقسّ[6] ، والشجاع بعمرو بن معد يكرب[7] . والحكيم بلقمان[8] .

كما اشتهر رجال آخرون بصفات غير حميدة ، فصاروا مضرب الأمثال كذلك تبعاً للصفات التي اتّصف بها كل منهم ؛ لذلك شُبّه العيّ بباقل [9] ، والأحمق بهبنّقة [10] ، والنادم بالكُسَعي [11] ، والبخيل بمادر [12] ، والهجّاء بالحطيئة ، والقاسي بالحجاج .

---

(١) السموءل بن عادياء ت ٥٦٠ م.

(٢) هو حاتم الطائي .

(٣) الخليفة الثاني : وقد اشتهر هذا الخليفة بعدله بين الناس ، وأرسى قواعد العدل والمساواة في المجتمع الإسلامي ، والسهر على ذلك .

(٤) هو الأحنف بن قيس .

(٥) هو سحبان وائل الباهلي .

(٦) هو قسّ بن ساعدة الإيادي . خطيب العرب . يضرب به المثل في البلاغة والخطابة .

(٧) شاعر فارسي ، أسلم ثم ارتدّ ثم أسلم ، مات بالقادسية ، شهد فتوح الشام والعراق وفارس وعرف بالشجاعة والقوة البدنية حتى صار مثالاً للبطل العربي في الأدب الشعبي خاصة .

(٨) حكيم مصر ، عُرف في الجاهلية قبل أن يعرف بالإسلام ، وفي القرآن سورة باسمه تعرض نماذج من حكمه حتى صار مردّ كثير من الحكم العربية .

(٩) باقل : رجل من ربيعة يُضرب به المثل في العيّ . وقد بلغ من عيّ باقل أنه كان اشترى ظبياء بأحد عشر درهماً . فقيل له : بكم اشتريت الظبي ففتح كفّيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه يشير بذلك إلى أحد عشر ، فانفلت الظبي وذهب ، فضربوا به المثل في العيّ .

(١٠) هَبَنّقة : اسمه يزيد بن خوران ، يقال له ذو الوَدَعات . ويُضرب به المثل في الحمق .

(١١) الكُسَعي : اسمه محارب بن قيس من بني كسيعة ، بطن من حمير ، يُضرب به المثل في الندامة . وكان قد رمى بعدما أسدف الليل عَيْراً فأصابه ، وظن أنه أخطأه ، فكسر قوسه - وقيل : وقطع إصبعه - ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولاً وسهمهُ فيه ، فصار مثلاً لكل نادم على فعل يفعله .

(١٢) مادر رجل من هلال بن عامر بن صعصعة سقى إبله يوماً . فبقي في أسفل الحوض ماء قليل . فسلح فيه ومدريه حوضَه بُخلاً أن يُشرب من فضله . فضُرب به المثل .

عيوب التشبيه[1]

للتشبيه المعيب صور منها :

١ ـ تشبيه الكبير بالصغير، نحو قول خفاف بن هدبة :

أبقى لها التعداء من عَتَدابِها ... ومُتُونها كخيوطة الكتّان

العَتَدات : القوائم ، والمتون : الظهور . يقول : دقّت حتى صارت متونها وقوائمها كالخيوط . وهذا بعيد جداً .

٢ ـ تشبيه الصغير بالكبير وليس بينهما مقاربة ، نحو قول ساعدة بن جؤيّة :

كساها رطيب الريش فاعتدلت لها ... قِداحٌ كأعناق الظباءِ الفوارقِ

فشبّه السهام بأعناق الظباء وليس بينهما شبه . ولو شبهها بالدقة لكان أولى .

٣ ـ التشبيه الرديء اللفظ ، نحو قول أوس بن حجر :

كأن هرّاً جنيناً تحت غُرضتها ... والتفّ ديك برجليها وخنزيرُ

٤ ـ التشبيه الخاطىء، نحو قول أوس بن حجر:

كأن حَجاجُ مُقلتها قَليبٌ ... من السُّمقَيْنِ أخلق مشتفاها

والحَجاج هو العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب . وليس هذا مما يغور وإنما تغور العين .

٥ ـ التشبيه الكريه المتكلّف ، نحو قول زهير :

فزلّ عنه وأوفى رأس مرقبةٍ ... كمنصِبِ العِترِ دمّى رأسه النُسُكُ

العِتْر : الصنم يُعتر له ، أي يذبح له .

٦ ـ التشبيه البعيد ، نحو قول أعرابي :

وما زلت ترجو نَيْل سلمى وودّها ... وتبعُدُ حتى ابيضّ منك المسائحُ

ملا حاجبيك الشيبُ حتى كأنه ... ظباءٌ جرت منها سنيح وبارحُ

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ١٩٦ .

فشبّه شعراتٍ بيضاء في حاجبيه بظباء سوانح وبوارح .

٧ ـ التشبيه المتنافر ، نحو قول الجماني يصف ليلاً :

كأنما الطرفُ يرمي في جوانبه عن العَمى وكأن النجم قنديلُ

فاجتماع العمى والقنديل في غاية التنافر .

٨ ـ التشبيه الرديء ، نحو قول ابن المعتز :

أرى ليلاً من الشَّعَرِ على شمس من الناسِ

فالجمع بين الليل والناس رديء مستكرَه .

أغراض التشبيه

إن أغراض التشبيه متعدّدة ، ويمكن أن نستخلص منها الآتي :

١ ـ بيان حال المشبَّه ، نحو قول النابغة الذبياني :

كأنك شمس والملوك كواكبٌ إذا برزت لم يَبْدُ منهن كوكبُ

٢ ـ بيان مقدار حاله ، كقول الشاعر :

وأصبحتُ من ليلى الغداة كقابضٍ على الماء خانته فروجُ الأصابعِ

٣ ـ تقرير حال المشبَّه في نفس السامع ، نحو قول الشاعر :

إن القلوب إذا تنافر ودّها مثل الزجاجة كسرُها لا يُجبر

٤ ـ بيان إمكان المشبَّه ، كقول ابن الرومي :

قد يشيب الفتى وليس عجيباً أن يُرى النَّوْر في القضيب الرطيبِ

٥ ـ تزيين المشبَّه : نحو قول الشاعر :

سوداءُ واضحةُ الجبيـ ـن كمقلة الظبي الغريرِ

٦ ـ تقبيح المشبَّه ، كقول المتنبي :

وإذا أشار محدّثاً فكأنّه قردٌ يقهقه أو عجوز تلطمُ

نمـاذج للتشبيـه

● قـال تعالى : ﴿ومثـل الذين ينفقـون أموالهم ابتغـاء مرضـاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كَمَثَلِ حبّة بربوة أصـابها وابـلٌ فآتت أُكُلهـا ضِعْفَيْن فإن لم يُصِبْها وابلٌ فطَـلٌّ والله بما تعملون بصير ﴾ (البقرة : ٢٦٥) .

● وقـال تعالى : ﴿ مثـل الذين اتّخـذوا من دون الله أولياء كمثـل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنَّ أوهَنَ البيـوت لَبَيْتُ العنكبوت لـو كانـوا يعلمون ﴾ (العنكبوت : ٤١) .

● وقال البحتري :

وتـراه في ظُلَم الـوغـى فتـخـالـه ... قمـراً يكـرُّ على الـرجـال بكوكـبِ

● وقال التلعفري :

ولاحـت الشمس تحكي عنـد مـطلعهـا ... مـرآة تـبرٍ بَـدَتْ في كـفِّ مـرتـعشِ

● وقال المتنبي :

مـا كنت أحسب قبل دفنـك في الثرى ... أنّ الـكـواكـبَ فـي الـتـراب تـغـورُ

● وقال أبو تمام :

ليس الحجاب بمُقْصٍ عنك لي أمـلاً ... إنَّ الـسمـاء تُـرجّى حيـن تحـتـجـبُ

● وقال مجنون بني عامر :

كـأنَّ الـقـلبَ لـيـلة قـيـل يُـغـدَى ... بـليـلى الـعـامـريـة أو يُـراحُ
قـطاةٌ غـرَّهـا شـرك فـبـاتـتْ ... تـعـالجـه وقـد عَـلِقَ الجـنـاحُ

● وقال شاعر :

والدهرُ يقرعُني طَوْراً وأقرعُهُ ... كأنَّهُ جبلٌ يَهْوي إلى جبلِ

● وقال امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إليها بعدما نام أهلها ... سموَّ حَبَابِ الماءِ حالاً على حالِ

● وقال ابن المعتزّ :

أرى ليلاً من الشَّعَرِ ... على شمسٍ من الناسِ

● وقال الفرزدق :

والشَّيْبُ ينهضُ في الشباب كأنه ... ليلٌ يصيح بجانبيه نهارُ

● وقال البحتري :

فتراه مطرداً على أعواده ... مثلَ اطِّرادِ كواكبِ الجوزاءِ

● وقال الشاعر :

والوجهُ مثلُ الصبح مبيضٌّ ... والفرع مثل الليل مسودُّ

● وقال أبو تمام :

هي البدر يغنيها تودُّدُ وجهها ... إلى كل من لاقت، وإن لم تَوَدَّدِ

● وقال البحتري :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهبُ الأصيل على لجين الماء

● وقال جميل :

غرّاء مبسامٌ كأنَّ حديثها ... درٌّ تحدَّرَ نظمهُ منثورُ

● وقال آخر :

هو البحر من أيّ النواحي أتيته ... فلجّته المعروف والجودُ ساحلُه

الحقيقة والمجاز

ينقسم الكلام من حيث المعنى قسمين : حقيقي ومجازي[1]. والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي تأتي في صورتين :

١ ـ المشابهة ، نحو : فلان ينطق دُرَراً . فكلمة (دُرَر) لم تُستعمل بمعناها الحقيقي ، وإنما استعملت للدلالة على الكلمات الفصيحة ، وذلك لعلاقة المشابهة في الإشراق والحسن . وهذا ما يسمى **بالمجاز اللغوي** .

٢ ـ غير المشابهة ، نحو قوله تعالى : ﴿ **يجعلون أصابعهم في آذانهم**﴾. فكلمة الأصابع استُعملت على غير ما وُضعت له، لأن المراد الأنملة وهي رأس الإصبع ، فالعلاقة هنا ليست المشابهة . والقرينة أنه لا يمكن جعل الأصابع في الآذان . وهذا ما يسمى **بالمجاز المرسل** .

أقسام المجاز[2]

المجاز قسمان :

١ ـ المجاز العقلي .

٢ ـ المجاز اللغوي .

---

(١) أسرار البلاغة ، ص ٢٩٦ .

(٢) : البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، ص ٧٦ .

أولاً : المجاز العقلي

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي ، نحو :

أشـاب الصـغيـر وأفنى الكـبيـ ـر كـرُّ الـغـداة ومـرُّ العَـشِيِّ

فقـد أسند الشـاعر في هـذا البيت فعل (أشـاب) وفعـل (أفنى) إلى غير فـاعلهما الحقيقي ، أي إلى كـرّ الغـداة ومـرور العشي مـع أن المُشيب والمُفْني في الحقيقـة هو الله ربّ العـالمين . فهذا الإسنـاد هو إسنـاد مجـازي ويسمى بـالمجـاز العقلي .

أنواع الإسناد المجازي أو المجاز العقلي

يكون الإسناد المجازي مسنَـداً إلى سبب الفعل ، أو زمانـه ، أو مكانـه ، أو مصدره ، أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول ، أو المبني للمفعول إلى الفاعل .

١ ـ الإسناد إلى سبب الفعل :

نحـو : بَنَت الدولـة جسراً . فـإسناد الفعـل (بنت) إلى الدولـة إسناد غيـر حقيقي ، لأن الـدولة لا تبني الجسـر بنفسها ولكنهـا سبب البناء والأمـر بـه . فهـذا الإسناد مجاز عقلي علاقته السببية .

٢ ـ الإسناد إلى زمن الفعل

نحو قول طرفة :

ستُبـدي لـك الأيـام مـا كنت جـاهـلاً ويـأتيـك بـالأخبـار مَـنْ لـم تُـزَوِّدِ

فقـد أسندَ الشـاعر الفعـل (ستُبدي) إلى الأيـام ، والواقـع أن الأيام ليست الفاعل الحقيقي ، فجاء إسناد الفعـل إلى غير فـاعله الحقيقي إسناداً مجـازيًا عـلاقته زمانية ، لأن الأيام ظرفـ زمـان يظهـر فيه الإبـداء حيناً والإخفـاء حيناً آخـر ، والقرينـة المانعة عقلية .

٣ ـ الإسناد إلى مكان الفعل

نحو : ازدحمت الشوارع بالناس . فإسناد الفعل (ازدحمت) إلى الشوارع ليس إسناداً حقيقيًّا ، والقرينة المانعة عقلية لأن الشوارع ثابتة لا تتحرك ولا تتزاحم ، ولكن الناس في الشوارع هم الذين يتزاحمون . فالشوارع ظروف أمكنة ، ولذلك فالعلاقة مكانية بين الشوارع وازدحام الناس فيها .

٤ ـ الإسناد إلى مصدر الفعل

نحو قول أبي فراس :

سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهم وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ

الشاهد في هذا البيت : الفعل (جَدَّ) والمصدَر (جِدُّهم) ، فقد أسند الشاعر الفعل (جدّ) إلى المصدر (جِدُّهم) بدل أن يكون الإسناد إلى القوم حين يظهرون الجِدَّ . فهذا الإسناد إذاً مجازي وعلاقته المصدرية نظراً لإسناد الفعل إلى المصدر وليس إلى الفاعل الحقيقي .

٥ ـ إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول

نحو قوله تعالى : ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾[1] .

الشاهد في هذه الآية القرآنية الكريمة : حجاباً مستوراً . فالحجاب أصلاً ساتر وليس مستوراً ، فحلّ اسم المفعول (مستور) محلّ اسم الفاعل (ساتر) بمعنى أن الوصف المبني للمفعول قد أسند إلى الفاعل ، فيكون الإسناد مجازيًّا ، وعلاقته الفاعلية .

٦ ـ إسناد ما بُني للمفعول إلى الفاعل

نحو قال الحطيئة يهجو أحد خصومه :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٤٥ .

الشاهد في هذا البيت : (أنت الطاعم الكاسي) ، فقد يظن السامع للوهلة الأولى أن هذا الشاهد لا يشير إلى هجاء ، بل إلى مديح ، ولكننا إذا أنعمنا النظر في البيت بمجمله ، لتبيّن لنا أنه يتضمّن هجاء مقذعاً ، لأن المقصود في الشاهد : (أنت المُطْعَم المكسوّ) وليس الطاعم الكاسي ، فاستعمل الشاعر اسم الفاعل مكان اسم المفعول ، بمعنى أنه أسند الوصف المبني للفاعل إلى المفعول، وهو إسناد مجازي علاقته المفعولية .

ثانياً : المجاز اللغوي

المجاز اللغوي قسمان : المجاز المرسل والاستعارة .

المجاز المرسل

المجاز المرسل كلمة استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة غير المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، نحو : ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ فالمقصود بكلمة (يد) القوة ، وهو المعنى المجازي . وليس المعنى الحقيقي لليد الجارحة .

علاقات المجاز المرسل

للمجاز المرسل علاقات كثيرة أهمها: السببية - المسببية - الجزئية - الكلّية - اعتبار ما كان - اعتبار ما يكون - المحلّية - الحالّية.

١ - العلاقة السببية

نحو قول السموأل :

تسيل على حدّ الظُّبات نفوسُنا وليست على غير الظبات تسيلُ

الشاهد في هذا البيت أن الشاعر استخدم كلمة (نفوسنا) بدلاً من (دمائنا) والسبب الذي حدا به إلى ذلك هو أن وجود النفس في الجسد سبب لوجود الدم فيه ، لأن جسد الإنسان الميت يفتقد الدم . فالعلاقة سببية بين النفوس

والدماء ، والقرينة المانعة إرادة المعنى الحقيقي عبارة (على حدّ الظبات) ، والنفس الطبيعية لا تسيل على حدّ الظبات كما ورد في قول الشاعر .

٢ ـ العلاقة المسبّبية

نحو قوله تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾[1]. الشاهد في الآية الكريمة أن الناس لا يأكلون في بطونهم النار ولكن الطعام ، وإنما أكل المال الحرام ينتج عنه عذاب ا لنار في الدنيا والآخرة : في الدنيا نار العذاب النفسي الناجم عن عذاب الضمير والإحساس بالخوف من الفضيلة ، وفي الآخرة عذاب نار جهنم .

٣ ـ العلاقة الجزئية

نحو : ألقى الخطيب كلمة مفعمة بالمشاعر . أي ألقى خطاباً . و (الكلمة) جزء من الكلام ، فهنا أطلق الشاعر الجزء وأراد الكلّ . وهذا ما يسمى بالعلاقة الجزئية .

٤ ـ العلاقة الكلية

نحو قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾[2] . المراد رؤوس أصابعهم أي أناملهم وليس أصابعهم كلها . فأطلق الكل وأريد الجزء . وهذا ما يسمى بالعلاقة الكلية .

٥ ـ العلاقة الماضوية أو باعتبار ما كان

نحو قوله تعالى : ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾[3]. الشاهد في هذه الآية الكريمة أن اليتيم الذي فقد أبويه وهو بعد طفل لم يبلغ الحلم ، لا يجوز أن يتسلّم أموال أبيه ولو كانت من حقه إرثاً شرعاً . ولكن مضمون الآية يشير إلى إعطاء اليتيم الذي كان صغيراً أمواله التي ورثها شرعاً عن أبيه حين بلغ الحلم ، إذ لا يُتْمَ بعد حلم . ثم إن

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٠ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٩ .
(٣) سورة النساء، الآية ٢ .

من كان يتيماً (في الماضي) أصبح بالغاً عاقلاً ، ولا ضرورة لانسحاب صفة اليتيم عليه باستمرار. فالدعوة هنا هي لإعطاء اليتامى أموالهم بعد أن بلغوا سن الرشد. فتكون بذلك العلاقة بين (اليتامى) بمعناها الحقيقي وبمعناها المجازي علاقة الماضوية .

ومثله قوله تعالى : ﴿ إنه من يأتِ ربه مجرماً فإنّ له جهنم﴾[1] سمّاه مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام .

٦ ـ العلاقة المستقبلية أو باعتبار ما سيكون

أي أن نستعمل لفظة تدل على المستقبل ، ولكنها في مدلولها اللغوي لا تتضمن ذلك . كما في قوله تعالى : ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴾[2] . الشاهد في هذه الآية أن الخمرة الناتجة من عصير العنب لا تعصر ، ولكن يعصر العنب ، ثم يتحول عصيره في المستقبل ، أي بعد حين من الزمن ، إلى خمرة .

فالعلاقة بين الخمر والعنب هي علاقة مستقبلية ، على أساس اعتبار ما سيكون.

٧ ـ العلاقة المحلية

أي أن يُذكر المحل ، والمراد هو الحالّ فيه نحو : أقرّ المجلس قانون الإيجار . المراد أعضاء المجلس وليس المجلس ، فأُطلق المحل وأُريد الحالّ فيه .

٨ ـ العلاقة الحالّية

أي أن يُذكر الحالّ ، والمراد هو المحلّ ، نحو قوله تعالى : ﴿ وأما الذين ابيضّت وجوهُهم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾[3] . المراد : في جنة الله . فأطلق الحال والمراد هو المحلّ .

---

(١) سورة طه ، الآية ٧٤.

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣٦ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٠٧ .

ومثله قول المتنبي :

إني نـزلت بكذابيـن ضـيفهـمُ   عن القـرى وعن التـرحـال محـدودُ

٩ ـ العلاقة الآلية

أي أن تُذكر الآلـة ، والمراد أثـرها . نحـو قولـه تعالى : ﴿ فـأتوا بـه على أعيُن الناس ﴾[1] والشاهد فيه : على مرأى من أعين الناس ، فـالعين آلة الـرؤية ، فجـاءت العلاقة آلية .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٦١ .

الاستعارة

توطئة

الاستعارة هي نقل العبارة عن حقيقة استعمالها في أصل اللغة إلى غيره ، لغرض ما[1]. ولهذا الغرض فوائد متعدّدة الصور منها:

١ ـ شرح المعنى والإبانة عنه

٢ ـ تأكيد المعنى والمبالغة فيه

٣ ـ الإشارة إلى المعنى بالقليل من اللفظ

٤ ـ تحسين موقع المعنى في الكلام

ولولا أن الاستعارة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً .

فائدة الاستعارة

إن الاستعارة تفعل في نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة . نحو قوله تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مَثَلُهُ في الظلمات ليس بخارج منها ﴾[2] ، فهنا استعمل النور مكان الهدى لأنه أبين ، والظلمة مكان الكفر لأنها أشهر . وكقوله تعالى : ﴿ووضعنا عنك وِزْرَكَ . الذي أنقض ظهرك ﴾[3] ، وأصل الوزر ما حمله الإنسان على ظهره .

---

(١) أسرار البلاغة ، ص ٣٦ وما بعدها .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٢٢ .

(٣) سورة الشرح ، الآيتان ٢ و٣ .

الحقيقة في الاستعارة

لا بد لكل استعارة من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة ، نحو قول أمرىء القيس :

وقد أغتدي والطير في وُكُناتها بمنجردٍ قيد الأوابد هيكلِ

الحقيقة هنا (مانع) الأوابد من الذهاب والإفلات. لكن الاستعارة أبلغ من ذلك، لأن القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف، فأنت تشاهد ما في القيد من المنع، فلا تشك فيه، ومثله قول أحدهم: العروض ميزان الشعر. والحقيقة تقويم الشعر. فاستعار الميزان، لما له من دلالة في الاستقامة والحقيقة.

ولا بد من معنى مشترك بين المستعار والمستعار منه، نحو قوله تعالى: ﴿وقَدِمْنا إلى ما عَمِلوا من عَمَلٍ فجعلناه هباءً منثوراً﴾[1]، والحقيقة: (عمدنا) وليس (قدمنا). ولكن (قدمنا) أبلغ، لأنه دلّ فيه على ما كان من إمهاله لهم حتى كأنه كان غائباً عنهم، ثم قدم فاطلع منهم على غير ما ينبغي فجازاهم بحسبه. والمعنى الجامع بينهما: العدل والشدة في النكير. لأن (العمد) إلى إبطال الفاسد عدل. وأما قولوالاستعارة منثوراً﴾ فحقيقته (أبطلناه) حتى لم يحصل منه شيء، والاستعارة أبلغ لأنه إخراج ما لا يُرى إلى ما يُرى.

ومثله قوله تعالى: ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾[1]. الحقيقة: مضيئة. والاستعارة (مبصرة) أبلغ. لأنها تكشف عن وجه المنفعة وتظهر موقع النعمة في الأبصار.

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فَيَدْمَغُهُ﴾[3]. حقيقته: (نورد) بدل (نقذف). و (يذهبه) بدل (يدمغه).

ومثله قول معاوية بن مالك:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

حقيقته : سقط المطر .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ١٢ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ١٨ .

ومثله قول أبي العتاهية :

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرّر أذيالها

من رديء الاستعارة

من أمثلة رديء الاستعارة قول علقمة :

وكل قوم وإن عزوا وإن كرُموا ... عرّيفهم بأثافي الدهر مرجومُ

فعبارة (أثافي الدهر) بعيدة جداً .

وقول آخر :

فما رقد الولدان حتى رأيته ... على البكر يمريه بساقٍ وحافرِ

فكلمة (حافر) وردت في غير محلها ، لأنها تستعمل للحيوان .

وقول الآخر :

سأمنعها أو سوف أمنع أمرها ... إلى ملك أظلافه لم تُشَقَّقِ

فعبارة (أظلافه لم تشقق) غاية في القبح .

وقول الآخر :

تخاصم قوماً لا تلقى جوابهم ... وقد أخذتْ من أنف لحيتك اليدُ

أي : قبضت بيدك على مقدم لحيتك كما يفعل النادم أو المهموم . وأنف كل شيء مقدمه وأنوف القوم سادتهم ، والأنف في هذا البيت هجين الموقع .

وقول الآخر :

ولما رأيت الدهر وعراً سبيله ... وأبدى لنا ظهراً أجبَّ مُسَلَّما

ومعرفةً حَصَّاء غير مُفاضةٍ ... عليه ولوناً ذا عثانين أنزعا

العجيب في هذا رؤية جبهته كالشراك للدهر . ولعل معنى البيتين مما يضحك الثكلى .

وقول أبي تمام :

يا دهر قوِّم من أخدَعَيْكَ فقد ... أضْجَجْتَ هذا الأنام من خُرُقِكْ

وهذا من قبيل عاقبة الإسراف التي كان يعتمدها أبو تمام .

أنواع الاستعارة باعتبار طرفي التشبيه

من المعلوم أن الاستعارة هي تشبيه بليغ حُذف أحد طرفيه ، ولذلك فالاستعارة بالنسبة لطرفي التشبيه على نوعين :

أ ـ الاستعارة التصريحية

هي تشبيه صُرِّح فيه بلفظ المشبَّه به وحُذف منه لفظ المشبَّه نحو :

وأقبل يمشي في البساط فما دَرَى   إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

يحتوي هذا البيت على مجازين لغويّين هما (البحر) و (البدر)، إذ إن أيًّا منهما لم يُستعمل بمعناه الحقيقي الذي وضع له، لكنه استعمل ليدل على سيف الدولة لعلاقة المشابهة بين المعنيين. والقرينة لفظية، وهي (أقبل يمشي في البساط). فكل من هذين المجازين هو تشبيه حُذف منه لفظ المشبَّه (سيف الدولة): واستعير بدله لفظ المشبَّه به (البحر) و (البدر) لأن المشبَّه به هو عين المشبّه. ولما كان المشبّه به مصرحاً به في هذا المجاز سمّي استعارة تصريحية.

ب ـ الاستعارة المكنية

وهي تشبيه حُذف منه المشبّه به ورُمز له بشيء من لوازمه ، نحو قول أبي خراش الهذلي :

وإذا المنيةُ أنشبت أظفارها   ألفيتَ كلَّ تميمة لا تنفعُ

الشاهد أن الشاعر قد شبّه المنية بحيوان مفترس ، لكنه حذف المشبّه به (الحيوان) ورمز له بشيء من لوازمه (الأظفار) . ولعدم التصريح بالمشبّه به في هذا النوع من الاستعارة سميت استعارة مكنية .

أنواع الاستعارة باعتبار لفظها

تقسم الاستعارة باعتبار لفظها، سواءٌ كانت تصريحية أم مكنية ، إلى :

أ ـ أصلية

وهي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه ، اسماً جامداً،ونحو :

حملتُ إليـه من لسـاني حـديقـةً سقاها الحجا سقي الرياضِ السحائبِ

الشاهد ههنا كلمة (حـديقة) . فقـد جعل الشـاعر جمـال شعره مثـل جمال الحديقة ، حيث استعار اللفظ الدال على المشبَّه به وهـو (الحديقـة) للمشبَّه وهـو (الشعر) على أساس الاستعارة التصريحيـة التي يصرَّح فيهـا بالمشبَّه به ويُحـذف المشبَّه ، فيكون أصل الكلام : (حملتُ إليه من لساني شِعْراً مثل حديقةٍ . . .). والقـرينة تبرز في قولـه : (من لساني) و (سقـاها الحجـا) . ثم نـلاحظ أن الحديقة اسم جامد غير مشتق وهو اللفظ المستعار ، فسمِّيت الاستعارة أصلية .

ب تبعيّة

وهي ماكان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعـارة اسماً مشتـقًّا[1] أو فعلاً ، نحو قول ابن الرومي :

بلد صحبت بـه الـشبيبـة والـصبـا ولبست ثـوب اللهـو وهـو جـديـد

الشاهد ههنا : (لبست) . فقد شبه الشاعـر متعة اللهـو بمتعة لبس الثـوب الجديد ، ثم استعار لفظ المشبَّه به (اللبس) للمشبَّه (متعـة اللهو) . ثم إنـه اشتق من المشبَّه به (اللبس) فعلاً هو (لَبِسَ) بمعنى تمتّـع . والقرينـة المانعـة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية وهي (ثوب اللهو) .

أنواع أُخرى من الاستعارة

تأتي هذه الأنواع نتيجة زيادة في الكلام يتلاءم مع المشبَّه أو المشبَّه بـه أو معهما كليهما ، وذلك زيادة في التعبير . وقد حدّد البلاغيّون هذه الزيادات كالتالي :

١ ـ استعارة مرشحة : وهي التي ذُكر معها ملائم للمشبَّه به .
٢ ـ استعارة مجرّدة : وهي التي ذُكر معها ملائم للمشبَّه .
٣ ـ استعارة مطلقة : وهي التي ذُكر معهـا ملائم للمشبَّـه والمشبَّه بـه معاً ، أو لم يُذكر معها ملائم للمشبَّه وللمشبَّه به معاً .

---

(١) المشتقات هي : الفعل المنصرف واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم المصدر واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة واسم التفضيل .

١ ـ الاستعارة المرشحة

وهي التي ذُكر معها ملائم للمشبَّه به ، نحو قول البحتري :

يؤدّون التحية من بعيد ... إلى قمر من الإيوان بادي

الشاهد في هذا البيت أن الشاعر يشبّه الممدوح بالقمر ، لكنه حذف المشبَّه (الممدوح) وصرّح بالمشبَّه به (القمر) ، والقرينة اللفظية (يؤدون التحية من بعيد) ، ذلك أن القمر الحقيقي لا يبدو من الإيوان بل في كبد السماء ، ولا تؤدّى له التحية احتراماً ، فاقتضى لذلك أن تكون التحية للقمر المجازي (المدوح) . ويؤكد ذلك عبارة : (من الإيوان بادي)، وهذا ترشيح يلائم المشبَّه به .

٢ ـ الاستعارة المجرَّدة

وهي التي ذُكر معها ملائم المشبَّه ، نحو قول سعيد بن حُمَيد :

وَعَدَ البدر بالزيارة ليلاً ... فإذا ما وَفَى قضَيْتُ نُذُوري

الشاهد في هذا البيت أن الشاعر شبّه حبيبته بالبدر ، لكنه حذف المشبَّه (الحبيب) وصرّح بالمشبَّه به (البدر) . وهذه استعارة تصريحية أصلية ، والقرينة المانعة هي (وَعَدَ) . والواقع أن البدر لا يمكن أن يَعِدَ أو أن يفي بوعد ، فلذلك يكون البدر هو المعنى المجازي للحبيب . وقد بيّن ذلك عبارة أخرى في البيت : (فإذا ما وَفَى قضيتُ نذوري) ، فهذا تجريد يلائم المشبَّه (الحبيب) .

٣ ـ الاستعارة المطلقة

وهي التي يُذكر فيها ملائم للمشبَّه وللمشبَّه به معاً ، أو لم يُذكر فيها ملائم للمشبَّه وللمشبَّه به معاً .

فمن أمثلة ذكر ملائم للمشبَّه وللمشبَّه به معاً : فاجأنا القدر بجند من أفراحه وأحزانه. الشاهد في هذا المثال أن الكاتب شبّه القدر بالإنسان (المشبَّه به). لكنه حذف المشبَّه به (الإنسان) ورمز له بشيء من لوازمه (فاجأنا) على اعتبار

الاستعارة المكنية الأساسية . كما ذكر (الجند) وهذا ترشيح لأنه ملائم للمشبّه به (الإنسان) . ثم ذكر (أفراحه وأحزانه) وهذا تجريد ، لأنه ملائم للمشبّه (القدر) لذلك تكون الاستعارة مطلقة بسبب ذكر ما يلائم المشبّه والمشبّه به معاً .

ومن أمثلة عدم ذكر ملائم للمشبّه وللمشبّه به معاً قول الشاعر :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسَقَتْ ورداً وعضّت على العُنّاب بالبَرَدِ

الشاهد في هذا القول أن الشاعر شبّه دموع حبيبته باللؤلؤ ، وعينيها بالنرجس ، وخدّيها بالورد ، وأطراف أصابعها بالعُنّاب ، وأسنانها بالبَرَد . ويبدو أن الشاعر ههنا قد حذف المشبّه لكل مشبّه به في البيت من دون أن يذكر ما يلائم المشبّه والمشبّه به ، فجاءت الاستعارة مطلقة .

الاستعارة باعتبار التركيب

هناك نوع من الاستعارة يسمّى استعارة مفردة، ونوع آخر يسمّى استعارة مركّبة.

فالاستعارة المفردة هي التي يكون فيها المستعار لفظاً مفرداً ، كما في الاستعارة التصريحية والمكنية .

والاستعارة المركبة وهي التي يكون فيها المستعار تركيباً ، وهذه الاستعارة تسمّى بلاغيًّا : الاستعارة التمثيلية .

الاستعارة التمثيلية(١) هي تركيب استُعمل في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، نحو:

ومَنْ مَلَكَ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

الشاهد في هذا البيت أنه شبّه (إنساناً ما) بملك مَلَك البلاد بسهولة ومن دون عناء، فهان عليه تسليم البلاد والاستهانة بشأنها.

ويقابل هذا المثال قولك: لا تنثر الدرّ أمام الخنازير. فالشاهد فيه أن القائل شبّه

---

(١) راجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص ١٣٩ .

(الكلام الطيب) بالدرّ، كما شبّه الإنسان غير المستفيد بالنصيحة والكلام الطيّب بالخنزير. لذلك جاء التركيب مجازيًّا وليس حقيقيًّا، لعلاقة المشابهة بين الرجل الذي ينثر الدرّ كلاماً طيباً بلا فائدة، وبين الرجل الذي لا ينتفع بالنصيحة التي قدمت إليه بلا فائدة. والقرينة المانعة عقلية.

خصائص الاستعارة

خصائص الاستعارة كثيرة ، يمكننا اختصارها بالقول إنها :

١ - تعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ .

٢ - تجعل الجماد حيّاً ناطقاً ، كقول أبي نواس :

فاستنطقِ العودَ قد طال السكوت به ... لن ينطق اللهو حتى ينطق العودُ

٣ - تجعل الأعجم فصيحاً ، كقول صفي الدين الحلّي في وصف حديقة :

وأطلق الطير فيها سجع منطقه ... ما بين مختلف منه ومتفقِ

٤ - تجعل الأجسام الخُرس مُبينة، كقولك : أخبرتني أسارير وجهه بما في نفسه .

٥ - تجعل المعاني الخفية بادية جليّة، كقول رسول الله ﷺ حين رأى عليًّا وفاطمة في بيت واحد وأقفل عليهما الباب : « جَدَعَ الحلالُ أنفَ الغيرة »

٦ - تجعل المعاني العقلية كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون ، كقوله تعالى : ﴿ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾[1].

٧ - تجعل الأوصاف المادية أوصافاً روحانية لا تنالها إلا الظنون ، كقول أبي نواس في وصف الخمر :

وقد خفيت من لطفها فكأنها ... بقايا يقين كاد يُذهِبُه الشكُّ

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١ .

نماذج للاستعارة والمجاز

● قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتُخرجَ الناس من الظلمات إلى النور ﴾ (الإسراء : ٢٤) .

● وقال تعالى : ﴿ واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة ﴾ (الإسراء : ٢٤) .

● وقال تعالى : ﴿ربِّ إنّي وَهَنَ العظمُ مني واشْتَعَلَ الرأسُ شيباً﴾ (مريم : ٤).

● قال المتنبي واصفاً دخول رسول الروم على سيف الدولة :

وأقْبَلَ يمشي في البساط فما درى ... إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

● وقال المتنبي أيضاً :

فإن أمرض فما مرض اصطباري ... وإن أُحْمَمْ فما حُمَّ اعتزامي

● وقال ابن وكيع :

سُلَّ سيفُ الفجر من غمد الدجى ... وتعرّى الصبح من ثوب الغَلَسْ

● وقال البحتري :

أتاك الربيعُ الطلق يختال ضاحكاً ... من الحُسن حتى كاد أن يتكلّما

● وقال الحجاج :

«إني لأرى رؤوساً قد أينعتْ

وحان قطافها وأني لصاحبها»

● وقال ابن الرومي في صوت وحيد :

فتراه يموت طوراً ويحيا ... مستلذٌّ بسيطُه والنشيدُ

● وقال تعالى : ﴿ ولما سكت عن موسى الغضبُ أخذ الألواح وفي نُسْخَتِها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ (الأعراف : ١٥٤) .

● وقال تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية . لنجعلها لكم تذكرة وتَعِيَها أذنٌ واعية ﴾ (الحاقّة : ١١) .

● وقال ابن زيدون :

غيظ العدى من تساقينا الهوى ... فدعَوْا بأن نُغَصَّ فقال الدهر : آمينا

● وقال أبو تمّام :

إن الهلال إذا رأيتَ نموَّه ... أيقنتَ أنْ سيكونُ بدراً كاملاً

● وقال معن بن أوس :

أعلّمه الرماية كلَّ يومٍ ... فلما اشتدَّ ساعده رماني

● وقال شاعر :

فوق خدّ الورد دمعٌ ... من عيون السحب يَذْرِفْ
برداء الشمس أضحى ... بعدما سالَ يُجَفَّفْ

● إنك لا تجني من الشوك العنب .

الكنايــة

تعريفها

هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك ، نحو قول الشاعر :

دامي المفاصل حتى ما لشفرته   غمد ، كثير رماد القِدْر من كرم

الشاهد في هذا القول « كثير رماد القدر » . فالقِدر لطبخ الطعام ، وكثرة الرماد تفيد كثرة اشتعال النار في الحطب ، وكثرة اشتعال النار تعني كثرة الطبخ ، وكثرة الطبخ تفيد كثرة الضيوف، وكثرة الضيوف تفيد الكرم والضيافة.

لذلك نلاحظ أن الكناية تبيِّن أن المتكلم يريد إثبات معنى من المعاني فلا يذكَره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومي إليه ويجعله دليلاً عليه[1] .

أقسام الكناية

يرى علماء البلاغة أن الكناية تُقسم باعتبار المكنى عنه ثلاثة أقسام ، وهي :

١ ـ كناية الصفة

٢ ـ كناية الموصوف

٣ ـ كناية النسبة أو كناية تخصيص الصفة بالموصوف.

---

(١) دلائل الإعجاز ، ص ٢٣٦ .

١ ـ كناية الصفة[1]

أولاً: هي الانتقال إلى المطلوب من أقرب لوازمه إليه، نحو: «فتاة نؤوم الضحى» . فالمراد بهذا القول صفة الفتاة بأنها مرفّهة مخدومة . ولكن القائل عدل عن التصريح بهذه الصفة وعمد إلى الإشارة إليها والكناية عنها بهذا التعبير . فهو كناية عن صفة لأنه ينبغي لمثل هذه الفتاة التي تنام في الضحى ـ وهو وقت السعي إلى الماء والعشب والرعي ـ أن تكون مرفّهة لها من ينوب منابها في الخدمة .

ثانياً: أو هي الانتقال إلى المطلوب من لازم بعيد بوساطة لوازم متسلسلة، كما في قول الخنساء في مدح أخيها صخر:

طويل النجاد ، رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتا

أي أنه طويل القامة ، سيد كريم ، وعبارة (كثير الرماد) سبق شرحها في أول الكناية بوسائطها ودلالاتها .

ومن ذلك أيضاً قولك : (فلان عريض القفا)، كناية عن الأبله.

٢ ـ كناية الموصوف

وهي أن يتّفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معيّن عارض ، فتذكرها متوصلاً بها إلى ذلك الموصوف ، نحو قول أبي نواس في الخمرة:

فلما شربناها ودبّ دبيبُها إلى موطن الأسرار قلت لها : قفي

الشاهد في هذا البيت أن الشاعر جعل (موطن الأسرار) كناية عن العقل أو القلب وكلاهما موطن أسرار كما تعارف الناس على ذلك ، لكنه لم يذكر القلب والعقل مباشرة بل كنّى عنهما ، ذلك أن الشاعر حين تناول الخمرة وسَرّيان مفعولها إلى (موطن الأسرار) توقّف عن شربها لئلا تزيد من اختلال توازنه كما يحصل لشاربي الخمور عادةً .

---

(١) الصفة هنا في الكناية لا تعني الصفة أو النعت في النحو . وإنما المقصود بالصفة في هذا الباب الصفة المعنوية كالكرم والقوة والطول وسواها .

من هنا نرى أن الشاعر صرّح بالصفة (موطن الأسرار) كما صرّح كذلك بالنسبة (دبّ دبيبُها إلى موطن الأسرار) ، لكنه لم يصرّح بالموصوف (القلب) بل أشار إلى ما يلائمه من الأوصاف .

٣ ـ كناية النسبة أو تخصيص الصفة بالموصوف:

وفيها يصرّح بالصفة والموصوف ، ولا يصرّح بالنسبة الموجودة ، مع أنها المرادة . ومن ذلك قول الشاعر :

بين بُرْدَيك يا صبيّةُ كنـ ـزٌ من نقاءٍ معطّر معشوق

الشاهد في هذا البيت أن الشاعر ذكر الموصوف وهو (الفتاة)، وذكر الصفة وهي (كنز من نقاء)، ولم يذكر النسبة (الطهارة)، بل كنّى عنها بعبارة (كنز من نقاء).

ومثله قول أبي نواس :

فما جازه جود ولا حلّ دونه ولكنْ يسير الجود حيث يسيرُ

وقول أحدهم : « المجد بين ثوبيك والكرم ملء برديك »

الكناية باعتبار الوسائط المتصلة بها

الكناية باعتبار الوسائط المتصلة بها أربعة أنواع :

١ ـ التعريض
٢ ـ التلويح
٣ ـ الإيماء والإشارة.
٤ ـ الرمز

١ ـ التعريض

وهي كناية عُرضية ، بمعنى أن يُطلق الكلام ، ويشار به إلى معنى آخر يُفهم من السياق . من ذلك مثلاً أن امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت : « أشكو إليك قلّة الفأر في بيتي » ، فقال : « ما أحْسَن ما ورّتْ عن حاجتها ، املأوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً » .

٢ ـ التلويح

وهي كناية ذات مسافة متباعدة بينها وبين المكنى عنه ، لتوسّط اللوازم . أي أن تشير إلى غيرك عن بعد ، نحو قول الشاعر :

وما يكُ فيّ من عيب فإني جبانُ الكلب مهزولُ الفصيلِ

الشاهد في هذا القول : (جبان الكلب مهزول الفصيل) ، والمراد : أني رجل كريم . وقد تبيّن هذا المعنى المراد أي الصفة ، من خلال الوسائط الآتية :

ـ جبان الكلب : يفيد جُبْنُه بعدم السماح له أو تدريبه على عدم الهرير أو النباح على القادمين إلى الدار ، مما يفسح لهم في مجال القدوم إلى دار صاحبه من دون خوف . ومجيء الضيوف إلى الدار يعني أن صاحب الدار رجل كرم .

ـ مهزول الفصيل : كناية عن أن الرجل كريم . وتبيّن ذلك عبر الوسائط التالية : من المعروف أن الفصيل هو ولد الناقة ، وهذا الولد هزيل الجسم لعدم توفّر أسباب الغذاء بالرضاع من أثداء أمه التي تركته إلى الأبد ، لأن صاحبها قد نحرها لضيوفه كرامةً وقِرًى . . . وهذا دليل كرم الرجل .

٣ ـ الإيماء أو الإشارة

كناية قليلة الوسائط ، أي أن تشير إلى الموصوف صراحة ، وتفيد المعنى المقصود مباشرة كأنها تشير إليه ، نحو قول أبي تمّام :

أبَيْنَ فما يزرن سوى كريمٍ وحسبُك أن يَزُرْن أبا سعيدِ

فواضح في هذا البيت أن أبا سعيد رجل كريم ، لأن الإبل أخذت على عاتقها عدم القيام بزيارةٍ إلا لرجل كريم ، وقد زارت أبا سعيد ، فظهر بذلك المعنى المراد مباشرة عبر وسائط قليلة أشارت إليه وأومأت .

٤ ـ الرمز

كناية قليلة الوسائط خفيّة اللوازم، كأن تشير إلى قريب منك ، على سبيل الخفية ، إشارة بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان ، كما في قول الشاعر :

رَمَـزَتْ إلـيّ مـخـافـةً مـن بـعـلـهـا مـن غيـر أن تُبـدي هـنـاك كـلامهـا

الشاهد في هذا القول أن بين الشاعر والمرأة إشارات يتفاهمان بها بدل الكلام الذي قد يفضح أمرهما .

وزيادة في البيان والتوضيح ، فإننا نستعمل في حياتنا اليومية إشارات اليد أو العين أو الحاجب أو اللسان أو الفم للتعبير عن إعجاب أو استهجان أو رفض أو موافقة لأمر من الأمور ، وخصوصاً إذا كان في المجلس أناس لا نريد البوح أمامهم بذلك الأمر .

* * *

مليح الكناية

ومن مليح الكناية قول أبي العيناء وقد قيل له ما تقول في ابني وهب ؟ قال : « ﴿ **وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج**﴾[1] سليمان أفضل . . . » قيل له : « وكيف ذلك » ؟ قال : ﴿ **أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أم من يمشي سويًّا على صراط مستقيم**﴾[2] .

ومن مليح الكناية بالرمز، قول الشاعر :

وتـوحي إليـه بـالـلحـاظ سـلامـهـا مـخـافـة واشٍ حـاضـرٍ ورقـيـبِ

وقول الآخر :

أشـارت بـطَرْف الـعيـن خيفـةَ أهلهـا إشـارةَ مـحـزون ولـم تـتـكـلمِ
فـأيقنتُ أن الـطرف قـد قـال : مـرحبـاً وأهـلاً وسـهـلاً بـالحبيب المـسـلّمِ

وقول الآخر :

أشـارت بـأطـرافٍ كـأنّ بـنـانَـهـا أنـابـيـبُ درٍّ قُـمِّـعَـتْ بـعـقـيـقِ
وقـالـت كَـلاك الله فـي كـلّ مـشـهـدٍ مـكـانـك مـن قـلبي مكـانُ شـقـيـقِ

* * *

---

(١) سورة فاطر، الآية ١٢ .

(٢) سورة الملك، الآية ٢٢ .

عيوب الكناية

من أمثلة عيوب الكناية قول أحدهم :

إني على شغفي بما في خُمرها لأعِفُّ عما في سراويلها

فقال آخر تعليقاً على هذا البيت : الفجور أحسن من عفاف يعبّر عنه بهذا اللفظ .

وقريب من ذلك قول الآخر :

وما نلت منها مَحْرَماً غير أنني إذا هي بالَتْ بِلْتُ حيث تبولُ

نمـاذج للكنايـة

● قـال تعالى : ﴿ ويـوم يعضُّ الظالم على يـديه يقـول يا ليتني اتَّخَـذْتُ مع الرسول سبيلاً ﴾ (الفرقان : ٢٧) .

● وقال الشاعر :

بيض المـطابـخِ لا تشكـو إمـاؤُهمُ   طبـخ القـدور ولا غسـلَ المنـاديـلِ

● وقال المتنبي :

فـمـسّـاهـم وبُـسْـطُهُـمُ حـريـرٌ   وصـبّحهـم وبُـسْـطُهُـمْ تـرابُ

ومَـنْ فـي كفِّهِ منهُم قـنـاةٌ   كـمن في كـفّـه مـنـهـم خـضـابُ

● وقال الشاعر :

إن الـسـمـاحـة والـمـروءة والـنـدى   في قبّـةٍ ضُـرِبَـتْ على ابن الحشـرجِ

● وقال المتنبي :

لا تشتـرِ العـبـد إلا والعـصـا معـه   إن الـعـبـيـد لأنـجـاس مـنـاكـيـدُ

● وقال امرؤ القيس :

ألا أيّـهـا الليـل الـطويـل ألا انـجـل   بصبـحٍ ومـا الإصبـاح منـك بـأمثـل

فيا لك من ليل كأن نجومه   بكل معار القتل شُدَّت بيذبل

● وقال الشاعر :

ولسنـا على الأعقـاب تـدمى كلومنـا   ولـكن عـلى أقـدامنـا تـقـطر الـدمـا

● وتقـول العرب : لبس لـه جلد الأرقم ؛ وقلب له ظهـر المجنّ ؛ وفـلان يفترش الغبراء ويلتحف السماء .

الباب الثاني

علم المعاني

يُعنى علم المعاني بائتلاف الألفاظ ووضعها في الجملة الموضع الذي يفرضه معناها النحوي .

وأول من وَضَعَ هذا العلم عبد القاهر الجرجاني في كتابه : « دلائل الإعجاز » . قال فيه :

« اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها . . . هذا هو السبيل ، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه ، إن كان صواباً ، وخطؤه ، إن كان خطأ ، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو ، قد أصيب به موضعه ، ووضع في حقّه ، أو عومل بخلاف هذه المعاملة ، فأزيل عن موضعه ، واستعمل في غير ما وضع له »[1] .

يتّضح من هذا الكلام أن علم المعاني مرتبط بعلم النحو ، ويتصرف بالجملة على ضوئه ، فنفهم به مواضع القصر في العبارة ، ومواطن الوصل والفصل ، ونعلم سبيل تحوّل الكلام من الخبر إلى الإنشاء ، ونستبين حقيقة الإسناد تعريفاً وتنكيراً ، وتقديماً وتأخيراً ، مع بيان السبب والغاية .

---

(١) دلائل الإعجاز ، ص ٤٨ .

وقد قُسّم علم المعاني أبواباً هي :

- الخبر
- الأنشاء
- الإسناد : أحوال المسند وأحوال المسند إليه.
- القصر
- الفصل والوصل
- الإيجاز والإطناب والمساواة

الخبر

هو الكلام الذي يصحّ أن يقال لصاحبه : صَدَق أو كذب[1].

فإذا كان الكلام موافقاً للواقع كان صادقاً وإذا كان غير موافق للواقع كان كاذباً .

مثال ذلك قول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا ... وظهر البحر نملأه سفينا

فهذا القول يحتمل الصدق إذا ملأ الشاعر وقومه البرّ بعديدهم ، وملأوا البحر سفناً ، وإذا لم يحدث ذلك فإنه كاذب .

فالصدق والكذب يُستعملان في الخبر .

حالات الخبر

للخبر عدة حالات منها :

أ ـ الجزم (بمعنى الإقرار بحدوث الشيء)، نحو: قام زيد.

ب ـ المستثنى ، نحو : ما قام إلا زيد .

جـ ـ ذو الشرط ، نحو : إذا قام زيد صرت إليك .

والخبر يكون تبعاً لهذه الأصناف :

١ ـ مثبتاً ، نحو: قام زيد.

٢ ـ منفيًا ، نحو: ما قام زيد.

---

(١) نقد النثر لقدامة ، ص ٤٤ .

ونشير في هذا الصدد إلى أمرين :

١ ـ أن المستثنى من المثبت هو منفي .

٢ ـ وأن المنفي إذا استثني فهو مثبت .

وليس يخلو الخبر المثبت أو الخبر المنفي من أن يكون :

١ ـ واجباً ، نحو : حرّ النار .

٢ ـ ممتنعاً ، نحو : حرارة الثلج .

٣ ـ ممكناً ، نحو : قام زيد . فهو قادر على القيام من جهة ، وجائز أن يقع القيام أو لا يقع .

زمن الخبر : يكون الإخبار تبعاً للزمن كما يلي :

١ ـ الإخبار عما مضى ، نحو : قام زيد .

٢ ـ الإخبار عما يُستقبل ، نحو : يقوم زيد .

٣ ـ الإخبار عن الحاضر ، نحو : قائم زيد .

الكذب في الخبر : يكون الكذب في الخبر لأحد أمرين :

١ ـ إثبات شيء لشيء لا يستحقه ، نحو : الثلج حار .

٢ ـ نفي شيء عن شيء يستحقه ، نحو : ليس الثلج بارداً .

الصدق في الخبر : يكون الصدق في الخبر لأحد أمرين :

١ ـ إثبات شيء لشيء يستحقه ، نحو : النار تعطي الحرارة .

٢ ـ نفي شيء لشيء لا يستحقه ، نحو : ليست النار باردة .

الخبر في حالة الإخلاف

أشرنا إلى أن الخبر يحتمل الصدق والكذب . ولكنه قد يأتي في حالة ثالثة تسمّى الإخلاف تبعاً لما يلي :

١ ـ أن يعمل المرء خلاف ما وعد ، كأن يُخْلِفَ الرجل وعده ، فلا يقال كذب .

٢ ـ قد يخلف الإنسان وعده ويفعل ما هو أشرف من هذا الوعد : فإذا وعد

رجل فقيراً بثوب ، فأعطاه ألف دينار ، فلا يقال : أخلف وعده ، لأن إنجاز الوعد كرم . وإخلاف الوعيد عفو وتفضّل ، كما قال الشاعر :

وكنتُ إذا أوعدته أو وعدته لأُخلف إيعادي وأنجز موعدي

الخبر في حالة المعارضة في الكلام

وفي هذه الحالة الرابعة يرضى المتكلم السائل أو السامع بظاهر الكلام ، ويتخلص في معناه من الكذب . من ذلك مثلاً أنه سئل أحدهم عن رأيه في لبس السواد ، فقال : وهل النور إلا في السواد (يقصد نور العين في سوادها) فأرضى السائل ولم يكذب .

ومثله أنه لما سئل شُريح عن عبد الملك ، وهو يُحتضر ، قال : « رأيته يأمر وينهى » . فلما مات عبد الملك سئل شُريح عن قوله ، فقال : « تركته يأمر بالوصية ، وينهى عن النواح » .

أنواع الخبر

الأصل في الخبر أن يُلقى لأحد أمرين : إما إفادة المخاطب فائدة جديدة لم يكن يعرفها ، وتسمى فائدة الخبر . أو إفادة المخاطب أن المتكلم عارف بذلك الخبر مع علم المخاطب سلفاً به . لذلك يقسم الخبر ثلاثة أنواع :

١ ـ **الخبر الابتدائي** : إذا كان المخاطب غير عارف بمضمون الخبر الذي ألقي إليه ، يُلقى عليه الخبر خالياً من كل توكيد لأن اليقين يلزم العقل الإقرار بصحّته .

ومثاله : تصديقنا بما أخبر الله تعالى عن الأنبياء وأخبارهم ونحن لم نشاهدهم ولم نرَ آياتهم ولم نسمع احتجاجهم على أقوامهم.

٢ ـ **الخبر الطلبي أو المؤكّد** : إذا كان المخاطب متردداً بمضمون الخبر الذي أُلقي إليه ، يُلقى عليه الخبر مؤكّداً بحالتين :

أ ـ مؤكّداً بإحدى أدوات التوكيد التالية : إنّ ، أنّ ، لام الابتداء ، نون التوكيد الثقيلة ، نون التوكيد الخفيفة ،

أو بأحد أحرف التنبيه التالية : ألا ، أما ، ها ؛

أو بأحد أحرف القسم التالية : الواو ، الباء ، والتاء ؛

أو بأحد الحروف الزائدة التالية : إنْ ، أنْ ، ما ، لا ، مِن ، الباء .

مثال ذلك قول السموءل :

تعيّرنا أنّا قليل عديدنا   فقلنا لها : إنّ الكرام قليلُ

ومثله قوله تعالى : ﴿ ألاَ إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1] .

وقول معن بن أوس :

ولست بماشٍ ما حييتُ لمنكَر   من الأمر لا يمشي لمثله مثلي

وقول شوقي :

قِف دون رأيك في الحياة مجاهداً   إن الحياة عقيدة وجهاد

وقوله تعالى : ﴿ وإنّ ربك ليحكم بينهم ﴾[2] .

وقول الشاعر :

ولم أرَ كالمعروف أما مذاقه   فحلوٌ. وأما وجهُه فجميل

وقوله تعالى : ﴿ أولئك سيرحمهم الله ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ وتالله لأكيدنّ أصنامكم ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ ولئن لم يفعل ما آمُرُهُ ليُسْجَنَنّ وليكوناً من الصاغرين ﴾[5] .

٣ ـ الخبر الإنكاري : إذا كان المخاطب منكراً تمام الإنكار لمضمون الخبر الذي ألقي إليه ، يُلقى عليه الخبر بأكثر من أداة توكيدية . نحو قولك لمثل هذا المخاطب المنكِر لحقيقة قائمة : العلم مفيد . إن العلم مفيد . إن العلم لمفيد .

---

(١) سورة يونس، الآية ٦٢.

(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٤ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٧١ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ٥٧ .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٣٢ .

إن العلم والله لمفيد . ففي القول نفسه وردت أداة توكيد (إنَّ) ، ثم أداة التوكيد (إنَّ) ولام الابتداء في (لمفيد) ، ثم أداة التوكيد (إنَّ) والقسم بالله ولام الابتداء في (لمفيد) .

نماذج للخبر والجملة الخبرية

● قالت ليلى الأخيلية :

وما أحدٌ حيٌّ، وإن عاش سالماً ... بأخلدَ ممّن غيّبته المقابر

● ولأبي ذؤيب الهذلي :

أمن المنون وريبها تتوجّع ... والدهر ليس بمعتب مَن يجزع

● وللنابغة الجعدي :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادرُ تحمي صفوه أن يكدّرا

● وقال الآخر :

ذهب الشباب فما له من دعوة ... وأتى المشيب ، فأين منه المهربُ ؟

● وقال زهير :

ومن لم يَذُدْ عن حوضه بسلاحه ... يُهدّمْ ، ومن لا يظلمِ الناس يُظْلَمِ

ومن يكُ ذا فضل فيبخلْ بفضله ... على قومه يُسْتَغْنَ عنه ويُذْمَمِ

الانشـاء

الإنشاء هو الكلام الذي لا يصحّ أن يقال لصاحبه : صَدَقَ أو كَذَبَ ، لأن هذا الكلام ليس له واقعٌ قائم يعبّر عنه .

من ذلك قول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبرَه بما فعل المشيب

فهذا كلام يبقى في إطار التمني لواقع منشود غير قائم .

أنواع الإنشاء

الإنشاء نوعان :
أ ـ الإنشاء الطلبي
ب ـ الإنشاء غير الطلبي .

أ ـ الإنشاء الطلبي

هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، والطلب كل ما طلبته من غيرك . وله عدّة طرق منها : الدعاء ، والاستفهام ، والأمر ، والنهي ، والنداء .

١ ـ الدعاء والتمني : يكون في الطلب من الله تعالى مسألة تتمنى حصولها ، نحو : ﴿ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيّئاتنا وتوفّنا مع

الأبرار ﴾[1]، فليس الأمر هنا طلباً على وجه الاستعلاء والإلزام ، ولكنه طلب فيه خشوع وخوف واستعطاف ودعاء.

٢ ـ الاستفهام : هو الطلب من المستفهَم منه بذل الفائدة في توضيح مسألة ، وذلك تبعاً لما يلي :

١ ـ سؤال عما لا تعلمه لتعلمه ، ويسمّى هذا استفهاماً . نحو : أأنت فعلت هذا بأخيك ؟

٢ ـ سؤال عما تعلمه ليقرّ لك به الفائدة، ويسمّى تقريراً .
نحو قوله تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾[2]،وقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾[3] .

٣ ـ سؤال يكون ظاهره الاستفهام ومعناه التوبيخ .
نحو قوله تعالى : ﴿ ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾[4] .

وقد يكون السؤال :
ـ محظوراً : وهو ما حظرت على المجيب أن يجيب إلا ببعض السؤال ، نحو : ألحماً أكلت أم خبزاً ؟

ـ مفوّضاً : وهو ما فوّضت الجواب للمجيب ، نحو : ما أكلت ؟ فله أن يجيب بما شاء من المأكولات .

وهناك تسعة أنواع للسؤال في الاستفهام [5] :
١ ـ السؤال عن الموجود بـ « هل » : هل كان كذا وكذا ؟
٢ ـ السؤال عن أنواع الموجودات بـ « ما » : ما رأيك في كذا وكذا ؟

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٩٣ .
(٢) سورة الرحمن ، الآية ٦٠ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٣٠ .
(٥) نقد النثر ، ص ٢٥ .

٣ ـ السؤال عن الفصل بين الموجودات بـ « أيّ » : أيّ الأشكال المربَّعُ ؟.

٤ ـ السؤال عن أحوال الموجودات بـ « كيف » : كيف حالُك ؟

٥ ـ السؤال عن عدد الموجودات بـ « كم » : كم مالُك ؟

٦ ـ السؤال عن زمن الموجودات بـ « متى » : متى تشرق الشمس ؟

٧ ـ السؤال عن مكان الموجودات بـ « أين » : أين والدُك ؟

٨ ـ السؤال عن أشخاص الموجودات بـ « مَن » : مَن هذا الرجلُ ؟

٩ ـ السؤال عن علل الموجودات بـ « لِمَ » : لِمَ هذا الجفاءُ ؟

٣ ـ **الأمر وله حالات ثلاث :**

أولاً : طلب الفعل على وجه الاستعلاء ويكون بواسطة : فعل الأمر ، واسم فعل الأمر ، والمضارع المقرون بلام الأمر ، والمصدر النائب عن فعل الأمر .

الغرض من ذكر كلمة الاستعلاء أن القصد حمل المخاطب على الامتثال للأمر وتنفيذه ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان الآمر له سلطان على من وجّه إليه الأمر .

ثانياً : إذا كان المتكلم بلفظ الأمر أدنى مرتبة من المخاطب به سمي دعاء كما في قوله تعالى : ﴿ غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ ، فكلمة غفرانك مصدر نائب عن فعل الأمر .

ثالثاً : الطلب بين اثنين في مستوى واحد . ويعني الالتماس . نحو قولك لرفيقك : أعطني كتابك . فهو حرّ في أن يعطيك كتابه أو لا .

ومثله قول امرىء القيس لرفيقيه :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

٤ ـ **النهي** : طلب الكف عن الفعل ، أو الامتناع عن أدائه . ويكون دائماً بواسطة الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية . نحو : لا تَقْرَبِ النار.

والنهي فرع من الأمر . ويأتي تبعاً للحالات الثلاث التي ورد فيها الأمر وهي :

١ ـ الدعاء، نحو: ربّنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا. فهذا دعاء صادر من الأدنى إلى الأعلى، خرج فيه النهي عن معناه الحقيقي.

٢ ـ الالتماس ، نحو قول ابن زيدون لولادّة بنت المستكفي وكان يحبها :

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيّرنا … إذ طالما غيّر النأيُ المحبّينا

٣ ـ الإلزام ، نحو : ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾[1] .

٥ ـ النداء : هو الطلب من المنادى الإقبال عليك أو إليك ، بإحدى أدوات النداء التالية :

الهمزة وأي ، لمناداة القريب، يا، أي ، أيا ، هيا ، وا ، لمناداة البعيد .

ويجوز استعمال هذه الأدوات بخلاف ما وُضعت له أصلاً . ويُفهم ذلك من سياق الكلام . كقول من يناجي ربّه : يا عالماً بحالي ، عليك اتكالي ، فالله سبحانه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه . وتستعمل أدوات النداء لمناداة : المحسوس ، والمعنوي .

فمن نداء المحسوس : يا صديقي لا تلمني .
ومن نداء المعنوي قول الشاعر في استقلال وطنه :

يا عروسَ المجد ، تيهي واسحبي … في مغانينا ذيول الشُّهُبْ

فعروس المجد أمر معنوي .

ب ـ الإنشاء غير الطلبي

يأتي الإنشاء غير الطلبي بصيغة الجملة الخبرية ويكون معناه معنى الإنشاء ، لذلك فهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب .

وللإنشاء غير الطلبي طرق نفهمه من خلالها منها :

١ ـ **أفعال المدح** : وهي أفعال تُستعمل في التعبير عن المديح على سبيل التحبب أو المبالغة ، وهي : نِعْمَ ، حُبَّ ، حَبَّذا . نحو : حبَّذا العيش في رحاب الوطن . و : نِعْمَ الصديق أنت .

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٣ .

٢ ـ **أفعال الذمّ** : وهي أفعال تُستعمل في التعبير عن الذمّ على سبيل الإدانة . وهي : لا حبذا ، بئس ، ساء . نحو : بئس العمل عملك . و : ساء ما تفعلون .

٣ ـ **أفعال العقود** : وهي أفعال تُستعمل في أعمال المبادلة بيعاً أو شراء أو اتفاقاً معيّناً . نحو : بعتُك حديقتي . و : وهبت للفقراء مالي .

وقد يرد فعل من أفعال العقود على سبيل المبادلة ولكن بصورة معنوية . فلا يؤخذ معناها الحقيقي بل المجازي. نحو قوله تعالى : **﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾**[1].

٤ ـ **أفعال الرجاء** : وهي أفعال اختصت بتوقع حدوث الفعل على سبيل الرجاء الممكن حصوله . وهي : لعل ، عسى ، حرى ، اخلولق . نحو : عسى أن يعود أخي إلى الوطن . أو : لعل الخير في قدوم سعيد .

٥ ـ **أفعال التعجب وصيَغه** : وهذه تختص بالتعبير عن الإعجاب بشيء على سبيل الندرة والفرادة . نحو : ما أجمل الربيع . أو : أكْرِم بمقدمه السعيد .

٦ ـ **كم الخبرية** : وتستعمل للكثرة ، نحو :

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى — وحنينُه أبداً لأول منزلِ

٧ ـ **حروف القسم** : وهي : الواو والباء والتاء. نحو: تالله لأكيدن الكافرين . أو : بالله لا ترحل عن ديارنا . أو : والله إنك صادق .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦ .

نمـاذج للإنشـاء

● قـال تعـالى : ﴿ ولتكن منكم أمـة يـدعـون إلى الخيـر ، ويـأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ (آل عمران : الآية ١٠٤) .

● قال ابن الرومي :

هـل السمعُ بعـد العين يكفي مكـانـه　　　أم السمعُ بعد العين يهدي كما تهـدي

● وقال :

ألا لـيـت الـشـبـاب يـعـود يـومـاً　　　فـأخـبـرَه بمـا فـعـل المـشـيـب

● وقال :

بنفسي تـلك الأرض مـا أطيـب الـربـا　　　ومـا أحسن المـصـطاف والمتـربَّعـا

● وقال :

لا تـنـهَ عن خـلق وتـأتـي مـثـلـه　　　عارٌ عـليـك إذا فـعـلـت عـظيمُ

● وقال المتنبي :

بـمَ الـتـعـلّـلُ ؟ لا أهـل ولا وطـن　　　ولا نـديـم ولا كـأس ولا سـكـنُ

● وقال المتني أيضاً :

يـا سـاقـيَّ أخـمـرٌ في كـؤوسـكـمـا　　　أم في كـؤوسـكـمـا هـمٌّ وتـسـهـيـدُ
أصـخـرة أنـا ؟ مـا لي لا تـحـرّكـني　　　هـذي المُدامُ ولا هـذي الأغـاريـدُ

● وقال أيضاً :

أقـلّ اشـتـيـاقـاً أيـهـا الـقـلب ربـمـا　　　رأيتـك تصفي الـودّ من ليس صـافـيـا

الاسناد

المسند والمسند إليه

صور المسند

١ ـ خبر المبتدأ : الوطن كنز.

٢ ـ المبتدأ الذي لا خبرَ له : أمُدْرِكٌ أنت حقيقة الحياة ؟

٣ ـ الفعل التام : سافر القائد .

٤ ـ اسم الفعل : إيّاك أن تلعب بالنار .

٥ ـ خبر الأفعال الناقصة : كان الطقس جميلاً .

٦ ـ خبر الأحرف المشبَّهة بالفعل : إن الطقس جميل.

٧ ـ المصدر النائب عن فعل الأمر: «رفقاً بالقوارير».

٨ ـ خبر الأحرف التي تعمل عمل ليس : لا أمل في الناس باقياً .

٩ ـ المفعول الثاني للأفعال المتعدية إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر : ظننت الحق ضائعاً .

١٠ ـ المفعول الثالث للأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل : أخبرت الصديق الموعد قائماً .

صور المسند إليه

١ ـ الفاعل : سافر القائد .

٢ ـ نائب الفاعل : ضُرب الولدُ .

٣ ـ المبتدأ المخبَر عنه : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[1].

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

٤ ـ اسم الأحرف المشبَّهة بالفعل : إن الطقس جميل .

٥ ـ اسم الأفعال الناقصة : كان الطقس جميلاً .

٦ ـ اسم الأحرف التي تعمل عمل ليس : لا أملَ في الناس باقياً .

٧ ـ اسم لا النافية للجنس : لا أحدَ في الدار .

٨ ـ المفعول الأول للأفعال المتعدية إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر : ظننت الحق ضائعاً .

٩ ـ المفعول الثاني للأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل : أنبأت المسؤول الخبر صادقاً .

حذف المسند إليه

الأصل في المسند إليه أن يُذكر في الجملة ، لأنه أساسها ، غير أنه قد يحذف في بعض الحالات ، ومنها :

١ ـ إذا كان السامع مستحضراً له، عارفاً منك القصد إليه عند ذكر المسند، نحو قوله تعالى : ﴿ فصكّت وجهها وقالتْ عجوز عقيم ﴾[1]. الأصل : أنا عجوز عقيم ، فحُذف المسند إليه وهو هنا المبتدأ .

٢ ـ ضيق المقام ، نحو قولك : وَصَلَ ؛ والأصل : وصل فلانٌ ، فحُذف المسند إليه (فلان) وهو فاعل .

٣ ـ عدم التصريح به ليكون هناك سبيل إلى الإنكار[2] ، نحو قولك : جبان ؛ والأصل : سعيد جبان . فحُذف المسند إليه (سعيد) وهو مبتدأ .

٤ ـ الحَذَر بغية الفائدة ، نحو قولك : أفعى ، والأصل : احذر الأفعى ، فحذف المسند إليه (احذر) وهو فعل .

٥ ـ التضجّر من إطالة الكلام، نحو قولك لأحد الناس : كيف حالك ؟ فيجيبك : بخير ؛ والأصل : أنا بخير ، فحذف المسند إليه (أنا) وهو مبتدأ .

---

(١) سورة الذّاريات ، الآية ٢٩ .

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي ، ص ١٧٦ .

٦ ـ المحافظة على السجع والوزن الموسيقيّ للكلام ، نحو قول لبيد :
وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بدّ يوماً أن تردّ الودائع

الأصل : أن يردّ المودعون ودائعهم ، فحُذف المسند إليه (المودعون) ، وهو فاعل .

٧ ـ إذا كان الخبر لا يصلح إلا له حقيقة ، نحو قوله تعالى : ﴿ علّام الغيوب ﴾[1]. الأصل : (الله) علّام الغيوب ، فحُذف لفظ الجلالة الله وهو المسند إليه (المبتدأ) ، ذلك لأن الله وحده هو علّام الغيوب حقيقة ، ولا سواه .

٨ ـ إضمار المسند إليه احترازاً نحو قولك : سُرق بيت جارنا . والأصل : سرق سميرٌ بيت جارنا ، فحُذف المسند إليه (سمير) وهو فاعل ، حرصاً عليه وإخفاءً للحقيقة .

٩ ـ التعويل على شهادة العقل . نحو قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾[2] الأصل : الرحمن استوى على العرش . فحُذف المسند إليه (الرحمن) وهو مبتدأ .

المسند إليه معرّفاً

الأصل في المسند إليه أن يكون معرّفاً إذا كان المقصود من الكلام إفادة السامع فائدة يعتد بمثلها . والسبب أن فائدة الخبر هي الحكم ، ومتى كان تحقق الحكم أبعد ، كانت الفائدة في تعريفه أقوى ، ومتى كان أقرب كانت الفائدة أضعف[3] .

ويكون تعريف المسند إليه في الحالات التالية :

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١٠٩ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية ٥٤ .
(٣) مفتاح العلوم للسكاكي ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

١ - المسند إليه ضميراً

إذا كان المقام مقام حكاية أو مقام خطاب . نحو قول الشاعر :

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

ونحو :

وأنتَ الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمتَّ بي من كان فيك يلومُ

وحقّ الخطاب أن يكون مع مخاطب معيّن ، ثم يترك إلى غير معيّن ، كما تقول : فلان لئيم إن أكرمته أهانك ، وإن أحسنت إليه أساء إليك ، فلا تريد مخاطباً معيّناً . وكذلك قوله تعالى : ﴿ ولَوْ تَرَى إذ المجرمون ناكِسُوا رؤوسِهم ﴾[1] .

٢ - المسند إليه علَماً

إذا كان المقام مقام إحضار له بعينه في ذهن السامع ابتداء بطريق يخصه ، نحو : زيد صديق لك وعمرو عدو لك . أو مقام تعظيم والاسم صالح لذلك كما في الكنى والألقاب المحمودة ، نحو :

أبو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه

أو مقام إهانة أو كناية ، نحو : ﴿ تبّت يدا أبي لهب ﴾[2] .

٣ - المسند إليه موصولاً

وذلك متى صحّ إحضاره في ذهن السامع بوساطة ذكر جملة معلومة الانتساب إلى مشار إليه ، نحو : الذي كان معك بالأمس لا أعرفه ، والذي كان معنا أمس رجل عالم فاعرفه .

كذلك يكون اسماً موصولاً إذا قصد زيادة التقرير ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْه التي هو في بيتها عن نفسه ﴾[3] .

---

(١) سورة السجدة ، الآية ١٢ .
(٢) سورة المسد ، الآية ١ .
(٣) سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

٤ ـ المسند إليه اسم إشارة

وذلك متى صحّ إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة إليه حسًّا ، واتصل بك داعٍ ، نحو قول الشاعر :

هـذا أبو الصقر فـرداً في محـاسنـه   من نسل شيبـان بين الضـالِ والسلمِ

وقول شاعر آخر :

أولئـك قـوم إن بنـوا أحسنـوا البنـا   وإن عـاهـدوا أوفـوا وإن عقـدوا شـدّوا

أو لبيان حاله في القرب والبعد والتوسط : هذا ، ذلك ، ذاك ، على وجوه الاعتبار ومنها :

ـ كمال العناية . نحو قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربّهم وأولئك هم المفلحون ﴾[1] .

ـ تمييزه بالحس ، كقول الفرزدق :

أولئـك آبـائـي فجئـني بـمثـلهـم   إذا جـمعتنـا يـا جـريـر المجـامـعُ

ـ التحقير والاسترذال ، نحو قوله تعالى عن الكفار : ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾[2] .

٥ ـ تعريف المسند إليه باللام

وذلك متى أُريد بالمسند إليه نفس الحقيقة ، نحو قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حيّ ﴾[3] أي الذي هو من جنس الماء مثل الريح ، والنار ، والتراب . .

ومثله قول الشاعر :

ولـقـد أمـرّ عـلى اللئيـم يـسبّني   فمضيتُ ثمّـة قلت : لا يـعنيني

والتقدير : على لئيم من اللئام .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٥ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٦ .
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

٦ - **تعريف المسند إليه بالإضافة**

وذلك متى لم يكن للمتكلّم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق سواها أصلاً . نحو : غلام زيدٍ . إن لم يكن عند المتكلم أو عند السامع شيء يعرفه به .

٧ - **المسند إليه معرفاً بالصفة**

وذلك إذا كان الوصف مبيّناً له كاشفاً عنه . نحو قوله تعالى : ﴿ **إن الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً . إذا مسّه الشرُّ جزوعاً . وإذا مسّه الخيرُ منوعاً** ﴾[1] أو كان الوصف مدحاً . نحو قولنا : الله الخالق البارىء المصوِّر . أو كان الوصف مخصِّصاً له . نحو قولنا : المتّقي هو الذي يؤمن ويصلي على هدى من ربّه ، والمقصود رجل مجتنب عن المعاصي والمكاره .

المسند إليه نكرة

ينكَّر المسند إليه إذا كان المقام للأفراد شخصاً أو نوعاً ، نحو قوله تعالى : ﴿ **والله خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ من ماء** ﴾[2] أي من نوع الماء ، أو من ماء مخصوص وهي : النطفة .

وينكَّر إذا كان المقام غير صالح للتعريف ، إما جهلاً بحقيقة قدره أو تجاهلاً ، نحو قوله تعالى : ﴿ **هل نَدُلُّكُم على رجل يُنَبِّئُكُم إذا مُزِّقتم كُلَّ مُمزَّق إنَّكُم لفي خَلْقٍ جديد** ﴾[3] .

وينكَّر لتهويل أمره ، نحو قوله تعالى : ﴿ **وعلى أبصارهم غشاوة** ﴾[4] .
وينكَّر قصداً إلى إفادة . نحو قوله تعالى : ﴿ ... **ورضوانٌ من الله أكبر** ﴾[5] دون أن يقول (رضوان الله) ، لأن القَدْر اليسير من رضوانه تعالى سبب كل سعادة وفلاح .

---

(١) سورة المعارج ، الآيتان ١٩ - ٢١
(٢) سورة النور ، الآية ٤٥ .
(٣) سورة سبأ ، الآية ٧ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٧ .
(٥) سورة التوبة ، الآية ٧٢ .

ذكر المسند

يذكر المسند في الجملة وجوباً تبعاً لما يلي :

١ ـ أن لا يكون ذكر المسند إليه يفيد المسند بوجه ما من الوجوه التالية :

١ ـ الابتداء ، نحو : زيد عالم ، لفائدة الثبوت.

٢ ـ لغرض التقرير أو التعريض . نحو : زيد يقاوم الأسد .

٣ ـ فائدة التجدد ، إذا كان فعلاً ، نحو : زيد عَلِمٌ، وإذا كان ظرفاً ، نحو : زيد في الدار .

تقديم المسند

ويكون ذلك في عدة حالات منها :

١ ـ أن يكون متضمِّناً للاستفهام ، نحو : كيف زيدٌ ؟

٢ ـ أن يكون المراد تخصيصه بالمسند إليه ، نحو قوله تعالى : ﴿ لكم دينكم و لي دين﴾ [1] .

٣ ـ أن يكون مقصوراً . نحو : تميميٌ أنا .

٤ ـ أن يكون المقصود التنبيه على أنه خبر لا نعت ، نحو قول الشاعر :

له هِممٌ لا منتهى لكبارها وهمّته الصغرى أجل من الدهرِ

وقوله تعالى : ﴿ ولكم في الأرض مُسْتَقَرٌ وَمَتَاعٌ إلى حِين ﴾[2]، فإن النعت لا يقدَّم على المنعوت .

٥ ـ أن يكون المراد بتقديمه نوع تشويق إلى ذكر المسند إليه ، نحو قول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق ، والقمرُ

وقول شاعر آخر :

وكالنار الحياة ، فمن رماد أواخرها ، وأولها دخانُ

---

(١) سورة الكافرون ، الآية ٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٦ .

تنكير المسند

وذلك في عدّة حالات منها :

١ ـ إذا كان الخبر وارداً على حكاية المنكّر ، نحو : عندي رجل .

٢ ـ عدم إرادة قصره ، نحو : سعد فارس . فكلمة فارس صفة مقصورة وحدها على سعد ولا تحتمل تفسيراً آخر .

٣ ـ تعظيم شأنه نحو: إن النبيّ أُمّيّ ، فكلمة (أُمّيّ) تحمل في طيّاتها معاني التعظيم والتقدير لنبيّ الأمّة الذي اصطفاه الله لنشر دينه القويم .

٤ ـ الإبهام والإيهام ، نحو : أعرفه معرفة ما . فلفظة (ما) تفيد الإبهام لعدم وضوحها ، والإيهام بأنّ هذه المعرفة قليلة .

حذف المسند

الأصل أن يذكر المسند في الجملة لضرورة اكتمال الفائدة . غير أنه يجوز حذف المسند في حالات منها :

١ ـ بعد إذا الفجائية إذا دلّ عليه دليل ، نحو : تقدّمتُ فإذا حاجز من نار ، والتقدير : قائم أو موجود ، فحُذف الخبر وهو المسند .

٢ ـ إذا كان جواباً لاستفهام ، نحو : من جاءكم البارحة ؟ تجيب : أخي وصديقه . فحُذف الفعل (جاء) وهو المسند . لبيان المقصود .

قيود الإسناد

المسند إليه والمسند هما ركنا الجملة . غير أن كل ما زاد عليهما في هذه الجملة يسمّى القيود ، نحو : سافر أخي إلى أوروبا . فالفعل (سافر) هو المسند . والفاعل (أخي) هو المسند إليه ، والجار والمجرور (إلى أوروبا) من القيود ، لأنها زائدة على المسند إليه والمسند في الجملة ، خصوصاً أن حذفها لا يؤثر في المعنى .

القصـــر

القصر ، لغةً ، هو الحَبْس والإلزام . . والقصر ، بلاغيًا ، تخصيص شيء بشيء ، أو قصر صفة على موصوف بطريق مخصوصة .

مفهوم الصفة والموصوف في القصر

ليست الصفة في القصر بمعنى النعت في علم النحو ، لأن مفهوم الصفة بلاغيًا لا يتعلق بإعراب ، بل يتعلق بمفهوم الكلمة ودلالتها ، نحو: أقبل الربيع . فالفعل (أقبل) صفة ، و (الربيع) موصوف ، حيث أسندنا صفة الإقبال إلى الربيع .

وللقصر وجهان : المقصور والمقصور عليه ، نحو: لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار. ففي هذا القول قصرنا صفة الفتوّة على الإمام (عليّ) وحده دون غيره من الرجال. لذلك تكون عبارة (لا فتى) هي المقصور وشخص الإمام (علي) هو المقصور عليه.

والقصر نوعان : القصر الحقيقي والقصر الإضافي .

القصر الحقيقيّ

هو الذي يختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع ولا يتعداه إلى غيره ، نحو : لا خالق إلا الله ، فقد قصرنا أو خصصنا صفة (الخلق) على الموصوف (الله) دون سواه . ذلك لأن الحقيقة والواقع يؤكدان فعلًا أن لا أحد بقادر على خلق أيِّ شيء ؛ وهذا قصر حقيقي . وبمعنى آخر قصر صفة على موصوف .

وفي المثال السابق : « لا فتى إلا عليّ » ، قصر صفة (لا فتى) على موصوف (عليّ) . والحقيقة أن في الحياة رجالاً أقوياء شجعاناً ، غير أن قوتهم وشجاعتهم لا تداني قوة الإمام عليّ وشجاعته . ولكن تجاهل هؤلاء الرجال قوة وشجاعة ، وحَصْرُ ذلك في الإمام عليّ جاء حصراً حقيقيًّا ، على سبيل المبالغة تحبّباً .

القصر الإضافيّ

هو ما يختص فيه المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معيّن ، بحيث لا يتعدّاه إلى ذلك الشيء ، ويمكن أن يتعداه إلى شيء آخر ، نحو : ما جاء إلا سعيد . هنا تخصيص صفة المجيء بـ (سعيد) وقصر ذلك عليه وحده ، لا يتعدّاه إلى خليل أو إبراهيم الخ . وهذا ما يسمى القصر الإضافي ، أي النسبة إلى شيء معيّن .

كذلك القول في : إنما سمير رسّام . ففي هذا تخصيص الموصوف (سمير) بصفة (الرسم) وقصرها عليه ، ولا يتعداها إلى غيرها من الصفات كالشعر أو الغناء أو أي فن من الفنون الأخرى . وهذا قصر إضافي أيضاً يكون بالنسبة إلى شيء معيّن .

المخاطب في القصر الإضافيّ

من الطبيعي أن يتدخل العقل في القصر الإضافي لفهم حال المخاطب ، كي يجيء الكلام تبعاً لمقتضى حاله . من هنا كان للقصر الإضافي ثلاثة أنواع :

١ ـ قصر الإفراد
٢ ـ قصر القَلْب
٣ ـ قصر التعيين

١ ـ قصر الإفراد : ويتضمن نفي المشاركة في أمر آخر ، نحو : ما أنا إلا مهندس . في هذا المثال قصر إضافي أي قصر صفة على موصوف . ولكن يبدو في هذا القصر أن (الموصوف) لا يشارك في أي صفة أخرى غير (الهندسة) ، فهو

مهندس فقط وليس بشاعر أو رسّام أو بائع الخ . وهذا ما يسمّى قصر إفراد حيث انتفت المشاركة في أمر أو صفة أخرى .

٢ ـ **قصر القَلْب** : ويُقصد منه إفهام المخاطب خلاف ما يعتقد . مثال ذلك أن أحداً من الناس يعتقد أنك مهندس ، والحقيقة أنك طبيب ، وتريد أن تصحّح له مفهومه ، فتقول له : إنما أنا طبيب ، أي : لستُ مهندساً . فقصرت على نفسك صفة (الطبيب) قصراً إضافيًا بطريق القَلْب لأن مخاطبك يعتقد غير ذلك .

٣ ـ **قصر التعيين** : ويُقصد به إزالة الشك والتردد، مثال ذلك أن أحداً من الناس يشكّ في نجاح أحد شخصين : خالد أو سمير . فتقول له : إنما الناجح خالد . فقد تمّ تعيين صفة (النجاح) أو تخصيصها بالموصوف (خالد) ، فانتفى الشك والتردد .

طُرُق القصر

للقصر أربعة طرق بارزة وهي :

١ ـ النفي والاستثناء
٢ ـ العطف
٣ ـ إنما
٤ ـ التقديم

١ ـ القصر بالنفي والاستثناء

نحو : لا فتى إلا علي ؛ أو : ما سعيد إلا مهندس .

ففي المثال الأول قصرنا الفتوة على (عليّ) ونفيناها عمّن سواه مبالغةً وتحبّباً كما أسلفنا .

وفي المثال الثاني : ورد (سعيد) مقصور و (مهندس) مقصور عليه .

لذلك ، سواء ورد الكلام بصورة قصر صفة على موصوف ، أو قصر موصوف على صفة ، فإن المتقدّم هو المقصور ، وما يأتي بعد (إلا) فهو مقصور عليه دائماً .

٢ ـ القصر بالعطف

أدوات العطف في القصر هي : لا ، وبل ، ولكن .

مثال لا : سعيد مهندس لا طبيب
المهندس سعيد لا خالد

مثال بل : ما سعيد طبيباً بل مهندسٌ
ما الطبيب سعيداً بل خليل

مثال لكن : ليس شوقي طبيباً لكن شاعر
ليس الطبيب شوقي لكن سعيد

ففي المثال الأول لكل أداة من أدوات العطف المذكورة أعلاه ورد قصر موصوف على صفة . وفي المثال الثاني لكل منها ورد قصر صفة على الموصوف . فالمقصور هو الكلمة الأولى ، والمقصور عليه هو الذي يأتي بعد أداة العطف .

٣ ـ القصر بـ « إنما »

نحو قولك : إنما الخطيب سعيد
إنما سعيد شاعر

فالكلمة الأولى في المثال الأول (الخطيب) هي المقصور والكلمة الثانية هي المقصور عليه؛ وهذا قصر صفة على موصوف.

وفي المثال الثاني : الكلمة الأولى (سعيد) هي المقصور ، والكلمة الثانية (شاعر) هي المقصور عليه ؛ أي قصر موصوف على صفة .

٤ ـ التقديم

أي تقديم ما حقّه التأخير، وبهذا يكون المتقدم هو المقصور عليه دائماً، والمتأخر هو المقصور، ذلك لأن التقديم يفيد التخصيص . نحو : إياك نعبد وإياك نستعين . و : على الله توكلت . و : مؤمن أنا .

فالكلمة الأولى في كل من هذه الأمثلة ، (إياك) و (على الله) و (مؤمن) ، هي المقصور عليها .

والكلمة الثانية ، (نعبد) و (توكلت) و (أنا) ، هي المقصورة .

ملاحظة : تلاحظ بعض الوسائل الأخرى للقصر في كتاباتنا وقراءاتنا ؛ ولكن هذه الوسائل ليست وسائل اصطلاحية للقصر ، بل وسائل تعبيرية تُفهم من سياق الكلام . كقولنا : جاء سعيد وحده ، أو سافر سعيد فقط ، أو اختصَّ سعيد بالهندسة ، أو الشِّعر مقصور على شوقي .

الفصل والوصل

قيل للفارسي : « ما البلاغة » ؟ قال : « معرفة الفصل والوصل » .

وقال أبو العباس السفاح لكاتبه : « قف عند مقاطع الكلام وحدوده ، وإياك أن تخلط المرعى بالهَمَل . ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل » .

وقال الأحنف بن قيس : « ما رأيت رجلاً تكلّم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام . . ولا عرف حدوده ، إلا عمرو بن العاص : كان إذا تكلم تفقّد مقاطع الكلام ، وأعطى حق المقام ، وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرج ، حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبيعته من الألفاظ »[1] .

من هنا يتبيّن أن على الكاتب المجيد أن يكون مطبوعاً محتكًا بالتجربة . عالماً بحلال الكتاب والسنّة وحرامهما ، وبالدهور في تداولها وتصرّفها ، وبالملوك في سيَرها وأيامها . مع براعة اللفظ ، وحسن التنسيق ، وتأليف الأوصال بمشاكلة الاستعارة وشرح المعنى ، حتى تنصبّ صورها بمقاطع الكلام ، ومعرفة الفصل من الوصل . ويمكننا القول إن البلاغة إذا خلت من معرفة مواضع الفصل والوصل كانت كاللآلىء التي ليس لها نظام .

طبيعة الكلام في الفصل والوصل

الكلام فيما يتعلق بالفصل والوصل نوعان :

ـ كلام معقود : وهو أن تبتدىء مخاطبة ثم لا تنتهي إلى موضوع التخلص مما عقدت عليه كلامك .

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٧٥.

ـ كلام محلول : وهو أن تشرح المستور وتبين عن الغرض المنزوع إليه .
مثال ذلك ما كتب بعضهم :

« . . . وجرى لك من ذكر ما خصّك الله به وأفردك بفضيلته . من شرف النفس والقدرة . وبُعد الهمّة والذكر . وكمال الأداة والآلة . والتمهّد في السياسة والإيالة . وحياطة أهل الدين والأدب ، وإنجاد عظيم الحق بضعيف السبب . ما لا يزال يجري مثله عند كل ذكر يتخذ ذلك . وحديث يؤثر عنك . . » .

فالكلام من أول الفصل إلى آخر قوله (بضعيف السبب) كلام معقود . فلما اتصل بما بعده صار محلولاً .

ومما لم يبيّن موضع الفصل فيه ، فأشكل الكلام ، قول المخبّل للزبرقان بن بدر :

وأبوك بدرٌ كان ينتهس الحصى وأبي الجوادُ ربيعة بن قيال

وما من بليغ إلا وهو يقطع كلامه على معنى بديع أو لفظ حسن رشيق ، نحو ما قاله لقيط :

لقد محضتُ لكم ودّي بلا دَخَلٍ فاستيقظوا إنّ خير العلم ما نفعا

فقطعها على كلمة حكمة عظيمة الموقع .
ومثله قول امرىء القيس :

ألا إن بَعد العُدْم للمرء قنوةً وبعد المشيب طولَ عمرٍ وملبسا

* * *

والكلام من جهة حسن المقطع وجودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكّنها في موضعها ، على ثلاثة أضرب :

أ ـ الضرب الأول : أن يضيق على الشاعر موضع القافية فيأتي بلفظ قصير قليل الحروف فيتمم به البيت، كقول زهير:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبلَه ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمي

وقول الأعشى :

وكأسٍ شربت على لذّة وأخرى تداويتُ منها بها

وقول امرىء القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخر حطّه السيلُ من علِ

ب ـ **الضرب الثاني** : أن يضيق المكان بالشاعر فيعجز عن إيراد كلمة سالمة تحتاج إلى إعراب ليتمّ بها البيت . فيأتي بكلمة معتلّة لا تحتاج إلى الإعراب فيتمّه بها . كقول الحطيئة :

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لِبُغْيَتِها واقعد فإنك أنت الطاعم ، الكاسي

وقال آخر :

وجوهٌ لو آن المدلجين اعتشوا بها صَدَعْنَ الدجى حتى ترى الليل ينجلي

جـ ـ **الضرب الثالث** : أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدّمها من ألفاظ الجزء الأول من الرسالة أو البيت من الشعر . وتكون مستقرة في قرارها ، ومتمكّنة في موضعها ، حتى لا يسدّ مسدّها غيرها . وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف . كقوله تعالى : **﴿وأنه هو أضحك وأبكى. وأنه هو أمات وأحيا. وأنه خلق الزوجين الذَّكَرَ وَالأُنْثى﴾**[1] . نلاحظ في الآية الكريمة تتابع الألفاظ : فأبكى وأضحك ، وأحيا مع أمات ، والأنثى مع الذكر .

وكذلك قوله تعالى : **﴿ وللآخِرةُ خيرٌ لكَ مِن الأُولَى . ولسوف يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾**[2] ، حيث تتابعت الألفاظ : الأولى مع الآخرة ؛ والرضى مع العطية ، وذلك على غاية في الجودة وحُسن الموقع .

ومثال من الشعر قول الحطيئة :

هم القوم الذين إذا ألمّت من الأيام مظلمة أضاءوا

مواضع الفصل بين الجملتين

أشهر مواضع الفصل ثلاثة :

١ ـ أن يكون بين الجملتين اتحاد تام ، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيداً أو بدلاً أو بياناً للجملة الأولى ، ويسمّى الفعل ههنا بكمال الاتصال .

---

(١) سورة النجم ، الآيات ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) سورة الضحى ، الآيتان ٥ ـ و ٦ .

فمثال التوكيد :

يهوى الشتاء مبرّز ومقصّر   حبُّ الشتاء طبيعة الإنسان

ومثال البدل : ﴿يسومونكم سوء العذاب ، يذبّحون أبناءكم﴾.

ومثال البيان :

الناس للناس من بدو وحاضرة   بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا خَدَمُ

٢ ـ أن يكون بين الجملتين تمام الخلاف والتباين ، كاختلافهما في الخبرية والإنشائية ، أو لا يكون بينهما مناسبة تقتضي الوصل ، ويسمّى الفصل هنا بكمال الانقطاع .

فمثال الخلاف في الخبرية والإنشائية قول الشاعر :

لست مستمطراً لقبرك غيثاً   كيف يظما وقد تضمّن بحرا

ومثال الجملتين ليس بينهما مناسبة معيّنة قول الشاعر :

كفى بالشيب للمرء واعظاً   صلاح الناس في حفظ الوداد

٣ ـ أن تكون الجملة الثانية بمنزلة جواب لسؤال مقدّر ناتج عن الجملة الأولى ، ويسمّى الفصل هنا شبه كمال الاتصال . ومثاله قول عُمَر :

ثم قالوا : تحبّها ؟ قلتُ : بهراً   عددَ النجم والحصى والترابِ

مواضع الوصل بين الكلمتين

أبرز مواضع الوصل ثلاثة :

١ ـ أن يُقصد إشراك الجملتين في حكم إعرابي ، نحو : الله يمنح ويمنع ، يعطي ويأخذ ، يذلّ ويرفع .

٢ ـ أن تتّفق الجملتان خبراً وإنشاء مع وجود مناسبة بينهما ، نحو قوله تعالى : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم** ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً** ﴾[٢] .

---

(١) سورة الانفطار ، الآيتان ١٤ ـ و ١٥ .

(٢) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .

٣ ـ إذا اختلفتا خبراً وإنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود، نحو : هل نجح سعيد ؟ فتقول : لا . حفظه الله . ففي الجواب إيهام يشير إلى الدعوى على سعيد، والقصد الدعاء له بالحفظ . فهنا وجب الوصل فتقول : لا وحفظه الله .

الايجاز والمساواة والاطناب

الإيجاز

الإيجاز هو قصر الكلام على الحقيقة . وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل[1] .

قال شبيب بن شيبة : القليل الكافي خير من كثير غير شاف . ويعني الإيجاز .

وقيل للفرزدق : ما صيَّرك إلى القصائد القصار بعد الطوال ؟ فقال : لأني رأيتها في الصدور أوقع . وفي المحافل أجول .

وقيل لبعض المحدثين : مالك لا تزيد شعرك ؟ قال : هنّ للقلوب أوقع . وإلى الحفظ أسرع . وبالألسن أعلق . وللمعاني أجمع . وصاحبُها أبلغ وأوجز .

وقيل لابن حازم : ألا تطيل القصائد ؟ فقال :

أبى ليَ أن أطيل الشعر قصدي ... إلى المعنى وعلمي بالصوابِ
وإيجازي بمختصر قريب ... حذفتُ به الفضول من الجوابِ
فأبعثهنّ أربعة وستّا ... مثقفة بألفاظ عذابِ
خوالد ما حدا ليلٌ نهاراً ... وما حَسُنَ الصبا بأخي الشبابِ
وهنّ إذا وسمت بهنّ قوماً ... كأطواق الحمائم في الرقابِ
وكنّ ، إذا أقمْتَ ، مسافراتٍ ... تهاداه الرواة مع الركابِ

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ١٣٠ .

والإيجاز نوعان :

١ - إيجاز القصر

٢ - إيجاز الحذف

إيجاز القصر

القصر هو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني ، نحو قوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعُـرْف وأعرض عن الجاهلين ﴾[1] . فجمع مكارم الأخلاق بأسرها ، لأن في العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين . وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان عن الكذب وغضّ الطرف عن الحركات والتبرّؤ من كل قبيح ، لأنه لا يجوز أن يأمر بالمعروف وهو يلابس شيئاً من المنكر . وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مقابلة السفيه بما يوقع الدين ويسقط القدرة .

والقصر واضح في قول رسول الله ﷺ : « إن من البيان لسحراً » ، وفي قوله ﷺ : « إياكم وخضراء الدِّمِن » ، فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه . وإذا أردت أن تعرف صحة ذلك ، فاشرحها واكتب معانيها فإنك تجدها تجيء في أضعاف هذه الألفاظ .

إيجاز الحذف

يأتي إيجاز الحذف على وجوه أهمها :

أ - أن يُحذف المضاف ويُقام المضاف إليه مقامه ويُجعل الفعل له . نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[2]، اي اسأل أهل القرية .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾[3] ، أي وقت الحج .

ومنه أيضاً قول المتنخل الهذلي :

ويمشي بيننا حانوت خمر ... من الحرس الصراصرة القطاطِ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٩٩ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٨٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٩٧ .

يعني صاحب حانوت ، فأقام الحانوت مقامه .

وقول الشاعر :

لهم مجلس صُهب السبال أذلّة ... سواسيةٌ أحرارها وعبيدها

يعني أهل المجلس .

ب ـ أن يوقع الفعل على شيئين وهو لأحدهما ، ويضمر للآخر فعله ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ [1] ، أي وادعوا شركاءكم .

ومنه قول الشاعر :

إذا ما الغانيات برزن يوماً ... وزجّجنَ الحواجب والعيونا

فالعيون لا تزجّج وإنما أراد : وكحّلن العيون .

جـ ـ أن يؤتى بالكلام على أن له جواباً فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب ، نحو قوله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله توّاب حكيم ﴾ [2] . والمقصود : ولولا فضل الله عليكم ورحمته (لعذّبكم) .

ومنه قول الشاعر :

فأقسم لو شيء أتانا رسوله ... سواك ولكن لم نجد لك مَدْفعا

والمعنى ... أتانا رسوله سواك (لرددناه) ولكن ...

د ـ أن يؤتى بالقسم بلا جواب ، نحو قوله تعالى : ﴿ قٓ . والقرآن المجيد. بل عجبوا ﴾[3]، ومعناه : قٓ والقرآن المنجيد (لتبعثن) ... والدليل ما جاء بعد القسم من ذكر البعث في قوله تعالى : ﴿ أإذا متنا وكنا تراباً ﴾ [4].

ومنه قول امرىء القيس :

فقلت يمينُ الله أبرح قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي : لا أبرح قاعداً ، فحذف (لا) .

هـ ـ أن يُضمر غير مذكور ، نحو قوله تعالى : ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ [5] ، يعني على ظهر الأرض .

---

(١) سورة يونس ، الآية ٧١ .

(٢) سورة النور ، الآية ١٠ .

(٣) سورة قٓ ، الآية ١ و ٢ .

(٤) سورة ق، الآية ٣.

(٥) سورة فاطر، الآية ٤٥ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾[1] ، يعني الشمس بدأت بالمغيب. وقوله تعالى : ﴿ والنهار إذا جلّاها ﴾[2] يعني الشمس أو الدنيا أو الأرض .

ومنه أيضاً قول لبيد :

حتى إذا ألقت يداً في كافر[3] وأجنّ عورات الثغور ظلامُها

يعني الشمس تدأب في المغيب .

ومن هذا النوع من الإيجاز أيضاً قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومَه سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾[4] ، أي من قومه . وقوله تعالى في أول سورة الرحمن : ﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ﴾[5] ، وذكر قبل ذلك الإنسان ولم يذكر الجانّ ثم ذكره .

ومنه أيضاً قول المثقّب :

فما أدري إذا يمّمت أرضاً أريد الخير أيهما يليني

أالخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني

فكنّى بالشر قبل ذكره ثم ذكره.

ومن أنواع هذا الحذف أيضاً قوله تعالى : ﴿ يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل ﴾[6] ، والمراد : يشترون الضلالة بالهدى ، وقوله تعالى : ﴿ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ﴾[7]، والمقصود: يبحث في التراب على غراب آخر فيرى هو كيف يواري سوأة أخيه.

* * *

ويُقسم الحذف باعتباره جودته إلى نوع حسن ونوع رديء .

الحذف الحسن: مثاله قول صعصعة وقد سئل عن الإمام علي بن أبي طالب(ر) :

---

(١) سورة صٓ ، الآية ٣٢.

(٢) سورة الشمس ، الآية ٣.

(٣) كافر : يعني الليل .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٥٥ .

(٥) سورة الرحمن ، الآية ١٤ .

(٦) سورة النساء ، الآية ٤٤ .

(٧) سورة المائدة ، الآية ٣١.

« لم يقل فيه مستزيد لو أنه . ولا مستقصر أنه . جمع الحلم ، والعلم والسلم . والقرابة القريبة . والهجرة القديمة . والبعصّر بالأحكام . والبلاء العظيم في الإسلام » .

ومنه كذلك ما قاله القيسي : « ما زالت امتطى النهار إليك. وأستدل بفضلك عليك . حتى إذا جنّني الليل . فقبض البصر . ومحا الأثر، أقام بدني . وسافر أملي . والاجتهاد عاذر . وإذا بلغتك فقط » . فقوله ـ فقط ـ من أحسن حذف وأجود إشارة .

الحذف الرديء : مثاله قول الحارث بن حلّزة :

والعيش خير في ظلا ل النُوك ممّنْ عاش كدّا

والمقصود : أن العيش الناعم خير في ظلال النُوك ـ الحُمْق ـ من العيش الشاقّ في ظلال العقل . وواضح أن معنى البيت لا يدلّ على المقصود الذي أشرنا إليه . وهذا من نوع الإيجاز المعيب والحذف الرديء .

ومن الحذف الرديء قول عروة بن الورد :

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

يعني : إذ يقتلون نفوسهم في السلم .

ومنه قول أحد الكتاب : « فإن المعروف إذا زجا ، كان أفضل منه إذا توفر وأبطأ » . والواقع أن تمام المعنى أن يقول : إذا قلّ وزجا ، فترك ما به يتم المعنى وهو ذكر القلة .

ومن الحذف الرديء جدًّا قول الشاعر :

لا يرفضون إذا جرّت مشافرهم ولا ترى مثلهم في الطعن ميّالا
ويفشلون إذا نادى ربيئهمُ ألا اركَبُنّ فقد آنستُ أبطالا

والمراد : ولا يفشلون ، فتركه فصار المعنى كأنه ذمّ .

المساواة

هو أن تكون المعاني بقدر الألفاظ ، والألفاظ بقدر المعاني ، لا يزيد بعضها على بعض . وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب أي كأن ألفاظه قوالب

معانيه ، نحو قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[1] . وكقول رسول الله ﷺ : « لا تزال أمتي بخير ما لم تَرَ الأمانة مغنماً والزكاة مغرماً » .

ومن سيِّء المساواة أن تكون المعاني أكثر من الألفاظ ، نحو قول أحدهم : « سألت عن خبري وأنا في عافية لا عيب فيها إلا فقدُك ، ونعمةٍ لا مزيد فيها إلا بك » .

وقال آخر : « يئست من صلاحك بي . وأخاف فسادي بك . وقد أطنب في ذم الحمار من شبهك به » .

وقال طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ

وقال آخر :

تُهدي الأمور بأهل الرأي ما صَلَحَتْ فإن تأبَّت فبالأشرار تنقاد

فالملاحظ في هذه الأقوال والأشعار أن ألفاظها أكثر من معانيها ، فدخلها الإطناب بلا ضرورة .

الإطناب

البلاغة هي الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل . وأفضل الكلام أبْيَنُه ، وأبْيَنُه أشده إحاطة بالمعاني . ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء . والإطناب عامّةً يشترك فيه الخاصة والعامة ، والغبيّ والفطن ، والرَّيِّض والمرتاض .

مواطن الإطناب

الحقيقة أن الحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في موضعه . فمن استعمل الإطناب في موضع الإيجاز ، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب فقد أخطأ . وهنا إشارة إلى أبرز مواطن الإطناب :

---

(١) سورة الرحمن ، الآية ٧٢ .

١ ـ في الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة ، والنهي عن المعصية ، والترغيب في الطاعة . نحو كتاب المهلب إلى الحجاج :

« الحمد لله الذي كفى بالإسلام فَقْدَ ما سواه . وجعل الحمد متصلاً بنعمته . وقضى أن لا يقطع المزيد من فضله . حتى ينقطع الشكر من أهله ، ثم إنّا كنّا وعدوّنا على حالتين مختلفتين : ترى فيهم ما يسرّنا أكثر مما يسوءنا ويرون فينا ما يسوءهم أكثر مما يسرّهم ، فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم . ينصرنا الله ويخذلهم . ويمحصنا ويمحقهم . حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أجله ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربِّ العالمين » .

هذه المكاتبات وما ساواها ينبغي أن تكون مشبعة مستقصاة . تملأ الصدور . وتأخذ بمجامع القلوب .

٢ ـ في الموعظة ، كقوله تعالى : ﴿ أفأمِنَ أهل القرى أن يأتيهم بأسُنا بياتاً وهم نائمون . أوَأمِنَ أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحًى وهم يلعبون . أفأمنوا مكرَ الله فلا يأمن مكرَ الله إلا القومُ الخاسرون ﴾[1].

فالواضح تكرار بعض الألفاظ في الآية الكريمة غير أن هذا التكرار جاء حسناً لوروده في موقعه .

٣ ـ إذا عظم الخَطْبُ ، كما يحدث في خطبة المصالحة بين العشائر وشدة موقع الفجيعة . من ذلك قول مهلهل : (على أن ليس عدلاً من كليب) ، كرّره في أكثر من عشرين بيتاً .

٤ ـ لتوكيد القول للسامع ، نحو قوله تعالى : ﴿ كلاّ سَوْفَ تعلمون . ثُمّ كلاّ سوفَ تعلَمون ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ فإنّ مع العُسْرِ يُسْراً . إنّ مع العُسْرِ يُسْراً ﴾ [3] . فيكون تكرار الكلام أو المعنى للتوكيد .

وقد كرر الله تعالى في سورة الرحمن قوله : ﴿ فبأيّ آلاء ربكما

---

(١) سورة الأعراف ، الآيتان ٩٧ و ٩٨ .
(٢) سورة التكاثر ، الآيتان ٤ ـ و ٥ .
(٣) سورة الانشراح ، الآيتان ٦ ـ و ٧

تكذبان ﴾ (1) ، ذلك أنه عدّد فيها نعماءه، وأذكر عباده بآلائه ، ونبّههم على قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها .

* * *

وقد يكون الإطناب غير مفيد إذا جاء : حشواً أو تطويلاً .

أ ـ **الحشو** : وهو أن تكون الزيادة في المعنى الأصلي محدّدة نحو :

وأعرف أسماء النجوم جميعها وأعرف اسم الفرقد المتوقّد

الشاهد أن معنى المقطع الأول من البيت تامّ وكامل . لذلك لم يقدم المقطع الثاني من البيت فائدة تذكر لأن الفرقد هو واحد من النجوم .

ب ـ **التطويل** : وهو أن تكون الزيادة في المعنى الأصلي غير ظاهرة نحو :

لهفي على تلك الطلول وصحبها ضاعت وزالت بعد يوم فراق

الشاهد في هذا البيت أن كلمتي (ضاعت وزالت) بمعنى واحد ، وقد أتت إحداهما زائدة ، غير أننا لا نستطيع تحديد أيهما الزائدة ، أي أن الزيادة غير محدّدة . وهذا النوع يسمى تطويلاً .

أغراض الإطناب

للإطناب فوائد متعدّدة نذكر منها :

١ ـ تثبيت الفكرة

٢ ـ توكيد الجملة وتوضيح معناها

٣ ـ رفع الإبهام وإثارة الاهتمام

أقسام الإطناب

يُقسم الإطناب باعتبار أغراضه إلى الأقسام التالية :

---

(1) سورة الرحمن ، الآيات ١٤ ـ ١٧ ـ ١٩ ـ ٢٢ ـ ٢٤ وسواها .

١ ـ ذكر العام بعد الخاص : هو ذكر المعنى العامّ وصولاً إلى المعنى الخاصّ نحو قوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾[1] . الشاهد أن الصلاة الوسطى (صلاة العصر أو المغرب) هي جزء من الصلوات المفروضة (المعنى العام) . ولكن ذكرت الصلاة الوسطى اهتماماً بها وتوضيحاً لأمرها ، بعد ذكر المعنى العامّ أي الصلوات .

٢ ـ ذكر الخاص بعد العام : هو الإتيان بعدد من الألفاظ ليتشكل منها المعنى العام . نحو قوله تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهَدْي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾[2]. الشاهد هو عبارة : « ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجعتم » فهذا التفصيل مجموعة (عشرة أيام) ، وهو المعنى العام . فنلاحظ أن الآية ورد فيها عدد من الألفاظ الخاصة ، فشكلت في مجموعها المعنى العام (عشرة كاملة).

٣ ـ الإيضاح : هو تفسير المقصود من المعنى العام الخفيّ . نحو : العلم علمان : علم الأديان وعلم الأبدان . الشاهد أن العلم علمان هو معنى عام غير واضح . فجاء التوضيح في العبارة التفسيرية : علم الأديان وعلم الأبدان ، فانتفى الإبهام والخفاء .

٤ ـ التكرار : يكون بإعادة اللفظ أو بما معناه . وهو قسمان : تكرار مفيد ، وتكرار معيب .

أ ـ التكرار المفيد : ويقسم ثلاثة أقسام :

(١) تكرار اللفظ ومعناه نحو قوله تعالى : ﴿ فإنّ مع العسر يسراً . إنّ مع العسر يسراً ﴾ [3] ، والغاية تثبيت المعنى وتأكيده .

(٢) تكرار اللفظ دون معناه نحو قوله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم ﴾ [4]الشاهد هو تكرار (الرحمن

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٣٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٩٦ .

(٣) سورة الإنشراح ، الآيتان ٦ و٧ .

(٤) سورة الفاتحة ، الآيتان ١ ـ ٣.

الرحيم) . غير أن (الرحمن الرحيم) الأولى تفيد صفة الله الخالق القدير للكون والكائنات و (الرحمن الرحيم) الثانية تفيد الرحمة والغفران في الآخرة .

(٣) تكرار المعنى دون اللفظ نحو: لا إله إلا الله وحده لا شريك له . الشاهد أن (لا إلـه إلا الله) معناهـا أن الله (وحده لا شـريـك لـه) فجـاء تكـرار المعنى الواحد في لفظتين مختلفتين . لأن (وحده) وصف الله سبحانه ويعني أنه لا ثـاني له في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله .

ب ـ التكرار المعيب: يقـع التكـرار المعيب في الشعـر ، في صـدر البيت وعجزه ، ولا يقع في القافية . ومثاله قول الشاعر:

حُـيِّيـتَ مـن طلل تـقادم عـهـدُه   أقوى وأقـفـر بـعـد أمّ الـهـيـثـم

الشـاهد تكـرار معيب للمعنى الـواحـد في (أقـوى) و (أقفـر) في عجـز البيت .

ومن أمثلته أيضاً:

ولـقـد دخـلت عـلى الـفـتـا   ةِ الـخـدر فـي الـيـوم المـطـير
الـكـاعـب الـحـسـنـاء تـر   فـل في الـدمقس وفي الـحـريـر

في الشاهد تكرار للمعنى الواحـد في لفظي (الـدمقس) و (الحرير) ، والدمقس هو الحرير . غير أن لفظ الحرير جاء في القافية فلم يعد التكرار معيباً .

(٥) الاعتراض: وهو ورود كلمة أو جملة ضمن عبارة تتضمن المعنى العام ، فلو أسقـطت لبقي المعنى على حالـه . نحو : جـاء أبي ـ حفـظه الله ـ من السفـر . فعبـارة (حفـظه الله) اعتـراضيـة لأنهـا لا تتعلّق بـالمعنى العـام : (جـاء أبي من السفر) .

مواضع الاعتراض : يأتي الاعتراض في عدة مواضع منها :

١ ـ القَسَم : نحو : إنك ـ والله ـ من الكاذبين .
٢ ـ الدعاء : نحو : نجا من الصدام ، فنجّه يا ربّ ـ من المرض .
٣ ـ التأكيد : نحو : كلنا في القاعة ـ وأنت هنا ـ نسمع الموسيقى .

أنواع الاعتراض : الاعتراض نوعان : مفيد ورديء.

أ ـ الاعتراض المفيد : هو ما يُكسب المعنى العام فائدة ويزيده وضوحاً .

نحو : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ـ ولهم ما يشتهون ﴾[1] . فالاعتراض بعبارة (سبحانه) يدلّ على التنزيه عن ادّعاء المشركين .

ب ـ الاعتراض الرديء : هو الاعتراض الذي يُفسد المعنى والمبنى. نحو قول الشاعر :

فقد ـ والشك ـ بيّن لي عناءً   بوشك فراقهم صُرَدٌ يصيح

الشاهد في هذا البيت الفصل بين (قد) والفعل (بيّن) ففسد المعنى . كذلك فإن تركيب الشطر الثاني من البيت غير سليم . ووجهه كما يلي : صُرَدٌ يصيح بوشك فراقهم .

(٦) الإيغال : هو المبالغة في التوضيح . نحو قول الخنساء في أخيها صخر :

وإن صخراً لتأتمّ الهداة به   كأنه علم في رأسه نارُ

الشاهد أن الخنساء جعلت أخاها صخراً كالجبل المرتفع ، لكنها زادت في الإيغال حيث جعلت على رأس الجبل ناراً ، فهذا مبالغة منها في توضيح منزلة أخيها .

ملاحظة : يرى بعض الدارسين أن الاحتراس والإيغال ونحو التذييل والتكميل هي من أنواع علم البديع التي حدّدها أبو هلال العسكري في كتابه « الصناعتين » ، لذلك رأينا جعلها في باب علم البديع .

---

(١) سورة النحل ، الآية ٥٧ .

الباب الثالث

علم البديع

البديع فنٌّ يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة[1] .

والغاية من دراسة هذا الفنّ الاطلاع على ناحية من نواحي التفنن بالألفاظ .

ويُعتبر عبد الله بن المعتز أول واضع لعلم البديع في كتابه المعروف بـ « كتاب البديع » . قال فيه : وما جمع فنونَ البديع ولا سبقني إليه أحد .

وقد حدّد ابن خلدون طبيعة علم البديع بقوله : « هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق : إما بسجع يفصله ، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه ، أو ترصيع يقطع أوزانه أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه ، لاشتراك اللفظ بينهما ، أو طباق بالتقابل بين الأضداد ، وأمثال ذلك»[1] .

ولئن رأى بعض الدارسين أن البديع فن يُصار به إلى التلاعب بالألفاظ ، فمردّ ذلك إلى الإسراف الذي اعتمده بعض الأدباء والشعراء في استعمال المحسّنات البديعية ، أمثال بشار بن بُرد ومسلم ابن الوليد وأبي نواس ، ومن سلك مسلكهم من بعد ، أمثال أبي تمام الذي أكثر منها فأحسن حيناً وأساء آخر . غير أن أبا هلال العسكري اعتبر أن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلّف وبرىء من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة[2] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ١٠٦٦ .

(٢) كتاب الصناعتين ، ص ٢٦٧ .

وللمزيد من الفائدة نشير إلى أبرز من تناول هذا الفن بالدراسة والتحليل :

عبد الله بن المعتزّ في « كتاب البديع » .

قدامة بن جعفر في كتاب « نقد الشعر » .

أبو هلال العسكري في كتاب « الصناعتين : الكتابة والشعر » .

ابن رشيق القيرواني في كتاب « العمدة » .

أسامة بن منقذ في « كتاب البديع في نقد الشعر » .

سراج الدين أبو يعقوب بن محمد السكّاكي في كتاب « مفتاح العلوم » ، القسمَ الثالث منه .

* * *

والمحسّنات البديعية قسمان :

أ ـ المحسّنات اللفظية ، وتعنى بتحسين اللفظ .

ب ـ المحسّنات المعنوية وتعنى بتحسين المعنى .

ولكل من هذه المحسّنات فصول تتعلّق بها، سيأتي تفصيلها تباعاً تحت: محسّنات.

حروف المعاني

هي التي تفيد معنى خاصاً في سياق الكلام . ومنها :

(١) أحرف الجرّ

(٢) أحرف العرض والتحضيض

(٣) أحرف التأكيد

(٤) أحرف الجواب

(٥) حرفا التنبيه والاستفتاح

١ - أحرف الجرّ

أحرف الجرّ هي : مِن - إلى - عن - على - في - اللّام - الباء - حتّى - الكاف - رُبَّ - واو القسم - تاء القسم .

معاني أحرف الجرّ

مِنْ

أ - للابتداء . نحو : انطلق الحرف من بلادنا .

ب - بمعنى (بعض) . نحو قوله تعالى : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نَحْبَه ومنهم من ينتظر . .** ﴾[1] .

جـ - بيان النوع . نحو: الحبّ من ألطف المشاعر.

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣ .

د ـ المقابلة. نحو: أين المال من العلم مجداً وتراثاً.
هـ ـ الفصل. نحو: متى تدرك الخيرَ من الشر؟

إلى

أ ـ انتهاء الغاية . كقول السموءل :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

أو كقول العمري :

إنّما ينقلون من دار أعما لٍ إلى دار شقوةٍ أو رشادِ

ب ـ الظرفية . نحو قوله تعالى : ﴿ ونقرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾[1]

ج ـ بمعنى (عند). نحو : ﴿ إلى ربك يومئذٍ المستقرّ ﴾[2] .

جـ ـ بمعنى اسم الفعل . نحو : إليكم نشرة الأخبار . أو : إليك عني يا هذا .

عن

أ ـ بمعنى (بَعْد) . نحو : عن قليلٍ تجد السعادة . ويمكن اتصالها بـ (ما). نحو : عمّا قليل تجد السعادة .

ب ـ بمعنى المجاوزة . نحو : ابتعِدْ عنا . ويجوز أن تسبقها (مِنْ) . نحو : إمشِ من عَنْ شمال الطريق .

على

أ ـ الاستعلاء . نحو قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾[3] .
ب ـ الإقرار . نحو : لفلان عليّ يدٌ .

---

(١) سورة الحج ، الآية ٥ .
(٢) سورة القيامة، الآية ١٢ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية ٥٤ .

جـ ـ بمعنى (مع) . نحو : دَخَلتُ الدار على جهلي به .

د ـ بمعنى (اللام) في الاستفهام . نحو قول الشاعر :

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت : عَلامَ تنتحبُ الفتاةُ ؟

هـ ـ بمعنى (غَيْر) . نحو : تركت بلادي على أنّي عائد قريباً .

و ـ بمعنى (فوق) . نحو : كجلمود صَخْرٍ حطّه السيلُ من على القمّة.

في

أ ـ الظرفية . نحو قول أبي تمام :لولا اشتعال النار فيما جاورت

لولا اشتغال النار فيما جاورت ما كان يُعْرَفُ طِيب عُرف العودِ

ب ـ الظرف المعنوي. نحو: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾[1].

جـ ـ بمعنوى (اللام) . نحو قول بشار :

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتباً صديقَك لم تلقَ الذي لا تعاتبه

د ـ بمعنى (الباء)، ويستفاد منها الحال . نحو :

كأنَّ أخلاقك، في لطفها ورقةٍ فيها ، نسيمُ الصباح

اللام

أ ـ الملكية حقيقية أو مجازية . نحو قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾[2] أو نحو قوله تعالى : ﴿ فضُرب بينهم بسور له باب ﴾[3] .

ب ـ الاستحقاق . نحو قوله تعالى : ﴿ ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ﴾[4] .

جـ ـ التمليك . نحو قوله تعالى : ﴿ جَعَل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٩ .

(٢) سورة سبأ ، الآية ١ .

(٣) سورة الحديد ، الآية ١٣ .

(٤) سورة المنافقون ، الآية ٨ .

(٥) سورة الشورى ، الآية ١١ .

د ـ التعليل . نحو قوله تعالى : ﴿ لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ [1] . وقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ﴾ [2] .

هـ ـ توكيد النفي . وهي المسماة (لام الجحود) ، وتقع بعد فعل الكينونة الناقص منفياً . والغرض استنكار وقوع الفعل الذي يذكر بعد (اللام) أو استقباحه أو استبعاده . نحو قوله تعالى : ﴿ ما كان الله ليَذَر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيثَ من الطيب وما كان الله ليُطلِعكم على الغيب ﴾ [3] .

و ـ الصيرورة . نحو قوله تعالى : ﴿ فالتقطه آلُ فرعون ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا ﴾[4] .

ز ـ الطلب . وهي لام الأمر الجازمة . نحو قوله تعالى : ﴿ لينفقْ ذو سَعَة من سعته ومَن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ [5] .

حـ ـ بمعنى (إلى) . نحو قوله تعالى : ﴿ يومئذ تحدّث أخبارها. بأنّ ربّك أوحى لها ﴾ [6] .

ط ـ بمعنى (في) الظرفية . نحو قوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القِسط ليوم القيامة ﴾[7] .

ي ـ بمعنى (على) . نحو قوله تعالى : ﴿ وإنْ أسأْتُم فلها ﴾[8] . وقوله تعالى : ﴿ يَخِرُّون للأذقان سُجَّدًا ﴾[9] .

ك ـ بمعنى (عن) . نحو قوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سَبَقونا إليه ﴾[10] ، أي متحدثين عن الذين آمنوا .

---

(١) سورة قريش ، الآية ١ ـ ٢ .
(٢) سورة النحل ، الآية ٤٤ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٧٩ .
(٤) سورة القصص ، الآية ٨ .
(٥) سورة الطلاق ، الآية ٧ .
(٦) سورة الزلزلة ، الآية ٢ ، ٣ .
(٧) سورة الأنبياء ، الآية ٤٧ .
(٨) سورة الإسراء ، الآية ٧ .
(٩) سورة الإسراء ، الآية ١٠٧ .
(١٠) سورة الأحقاف ، الآية ١١ .

ل ـ بمعنى التوكيد . وتقع :

١ ـ قبل المبتدأ . نحو قوله تعالى : ﴿ لأنتمُ أشد رهبة في صدورهم من الله ﴾[١]

٢ ـ قبل خبر إنَّ . نحو قوله تعالى : ﴿ إنّ ربي لسميع الدعاء ﴾[٢] .

٣ ـ قبل خبر (أنّ) . نحو قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنّهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾[٣] .

م ـ لام الجواب . وتقع :

١ ـ في جواب القسم . كما في قوله تعالى : ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا ﴾[٤] .

٢ ـ في جواب (لو) . كما في قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾[٥] .

٣ ـ في جواب (لولا) . كما في قوله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾[٦] .

ن ـ اللام الموطّئة للقسم . وهي التي تستعمل في أسلوب شرط يكون ما بعد جملة الشرط جواباً لقسم مقدّر قبل اللام . نحو قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أُخرجوا لا يخرجون معهم ﴾[٧] فجملة لا يخرجون جواب لقسم مقدّر قبل اللام . أما جواب الشرط فمحذوف على حسب القاعدة .

٢ ـ أحرف العرض والتحضيض

أحرف العرض هي : ألا ، أما ، لَوْ . ويستفاد منها الاستفتاح والعرض . وتتضمّن الطلب . نحو قول عمرو بن كلثوم :

---

(١) سورة الحشر ، الآية ١٣ .
(٢) سورة إبراهيم، الآية ٣٩.
(٣) سورة الفرقان ، الآية ٢٠ .
(٤) سورة يوسف ، الآية ٩١ .
(٥) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٥١.
(٧) سورة الحشر ، الآية ١٢ .

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

وقول عنترة العبسي :

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلّمي

وقولنا : أما ترافقنا في رحلة العيد .

أحرف التحضيض هي : هلّا ، ألّا ، لولا ، لَوْما ، ألا . وتتضمن الطلب بشدة وعنف . نحو قول عنترة :

هلّا سألتِ الخيل يا ابنةَ مالكٍ إن كنت جاهلةً بما لم تعلمي

وقوله تعالى : ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ لَوْما تأتينا بالملائكة ﴾[3] .

ونحو قولنا : ألّا أحسنت صنعاً .

وإذا دخلت هذه الحروف على الفعل المضارع كانت تحضيضاً ، وإذا دخلت على الفعل الماضي كانت للتحسير أو للتنديم لأنها طلب باللوم .

٣ ـ أحرف التأكيد

أحرف التأكيد هي : قَدْ، إنَّ، اللام المفتوحة، والأسماء: عين، نفس، كِلا، كلتا، كلّ، أجمع، جميع، عامّة، كافّة. وفيما يلي شرح لأهمّها:

قد

تفيد التأكيد إذا دخلت على الفعل الماضي . نحو قول الحجاج : « إنّي لأرى رؤوساً قد أَيْنَعَتْ وحان قطافها وإني لصاحبها » .

وقول المتنبي :

فسرتُ وقد حجبن الشمس عني وجئن من الضياء بما كفاني

(١) سورة النور ، الآية ٢٢ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١١٨.

(٣) سورة الحجر ، الآية ٧ .

وإذا دخلت (قد) على الفعل المضارع فإنها تفيد التقليل. نحول قول شوقي :

ولقد تمرّ على الغدير تخاله　　حلو التسلسل موجُه وغديره

أو كقول ابن الرومي :

قد يشيب الفتى وليس عجيباً　　أن يُرى النَّوْر في القضيب الرطيب

ويجوز الفصل بينها وبين الفعل بواسطة القسم. نحو : قد والله عرفتك .

اللام : وتستخدم للتأكيد وغيره. راجع معاني (اللام) في مواضعها .

كلا وكلتا

كلا : تؤكد المثنى المذكر . نحو : هذان الرجلان كلاهما عربي .

كلتا : تؤكد المثنى المؤنّث . نحو : هاتان الفتاتان كلتاهما من بلادي .

وإذا أضيفت (كلا وكلتا) إلى اسم ظاهر ، فإنهما لا تؤكدان . نحو :

رأيت كلا الرجلين - رأيت كلتا المرأتين

وإذا أضيفتا إلى الضمير لم تفيدا التوكيد . نحو :

كلاكما مسافر - كلاكما مسافران

كلتاكما مسافر - كلتاكما مسافرتان

كلّ

تُستعمل لتأكيد الاسم المفرد أو الجمع ، سواء أكان هذا الاسم معرفة أم نكرة .

فمثال توكيد المعرفة قوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾[1] .

ومثال توكيد النكرة . قول الشاعر :

لكنّه شاقَهُ أنْ قِيلَ ذا رجبٌ　　يا ليتَ عِدَّةَ حَوْلٍ كُلِّهِ رَجَبُ

وإذا وقعت بعد نفي ، أفادت نفي البعض وإثبات البعض الآخر . نحو : ما نَجَحَ كلُّ الطلّابِ . والمعنى أن بعض الطلاب قد نجح وأنّ بعضهم الآخر لم ينجح .

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٣٠ .

وإذا وقعت (كل) قبل النفي، أفادت النفي للكل . نحو : كل الطلاب لم يرسبوا .

وإذا دخلت (أل) التعريف على (كل) ، كانت بدلاً عن المضاف إليه . نحو : الكلّ قاموا بواجبهم . والمقصود كل القوم .

أجمع ـ جميع ـ عامّةٌ : تتبع (كل) لأنها في معناها ، وتفيد تأكيد المفرد والجمع توكيداً معنويًا. نحو قول الشاعر :

إنّا إذا خُطّافنا تقعقعا قد صرّت البكرةُ يوماً أجْمَعَا

ونحو قوله تعالى : ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً** ﴾[1] .

ونحو قولنا : أتمنّى رجوع المسافرين عامّتهم . أكْرِم رفاقي عامّة .

نفس وعين : ونفس الشيء عينه . نحو قولنا : هذا يمسُّ نفسك أو عينك ولا يمسّ غيرك . أو كقولنا : جاءني زيد نفسه .

ويجب في (نفس وعين) إذا أُكّد بهما أن يكونا مفردين مع المفرد . نحو : جاء زيد نفسه عينه .

ويكونان مجموعين مع الجمع . نحو : جاء الزَّيْدُون أنفسهم أعينهم .

وإذا أُكّد بهما المثنى، نحو : جاء الزيدان أنفسُهما أعينهما ؛ فالجمع هو الأفصح .

٤ ـ أحرف الجواب

أحرف الجواب هي : نَعَم ، أجل ، بلى ، إي ، لا ، كلاّ .

نعم وأجل : يشتركان في معنى واحد تقريباً ويفيدان الجواب سلباً أو إيجاباً ، تبعاً لسؤال معيّن .

نحو : هل جاء المدير ؟ الجواب : نَعَم . ونحو :
أوَلَمْ يَحْضَر المُديرُ ؟ الجواب : أجل .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٩ .

بلى : تجعل جواب النفي إثباتاً . نحو : أَلَسْتَ بصائِمٍ اليومَ ؟ الجواب : بلى .

لا وكلا : تفيدان النفي . نحو : هل سافر أخوك ؟ الجواب : لا . هل أنت السارق ؟ الجواب : كلّا .

فالملاحظ أن (لا) تفيد النفي . أما (كلاًّ) فإنها تفيد النفي بشدة ، أي الردع .

٥ - حرفا التنبيه والاستفتاح

تفيد (ألا) و (أما) الاستفتاح والتنبيه لأنهما تفيدان لفت انتباه السامع إلى أن ما يليهما حقيقة ثابتة .

وفضلاً عن الطلب ، تفيد (ألا) التمني . كقول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبرَه بما فعل المشيبُ

أو كقول جميل بثينة :

ألا ليت شعري هل أبيتَنّ ليلة بوادي القرى ، إني إذاً لسعيدُ

الحروف التي لا يليها إلا الفعل

في العربية حروفٌ لا يليها إلا الفعل ولا تغيّر الفعلَ عن حاله التي كان عليها قبل أن يكون قبله شيء منها .

ومن تلك الحروف[1] :

قَدْ : لا يُفصل بينها وبين الفعل الذي يليها . وهو جواب لاستخبار : أفعَلَ ؟ والقول : (قد فَعَلَ) إنما هو لقوم ينتظرون شيئاً .

سوف : (سوف يفعل) . وهي بمنزلة السين في الفعل . نحو : (سيفعل) . لأن هذه السين تدخل على الأفعال . وإنما (سوف) هي إثبات للقول : (لن يَفْعَلَ) . والشبه بين (سوف) و (السين) في أنه لا يُفصل بينها وبين الفعل .

ربّما وقلّما ، وأشباههما : فقد جُعلت (رُبَّ) و (قلَّ) مع (ما) بمثابة كلمة واحدة يذكر بعدهما الفعل . إذ لا يمكن القول : (رُبَّ يقول) أو (قَلَّ يقولُ) .

هلاَّ ، لولا ، ألاَّ : فقد أُلحقت بـ (لا) .
هلا : أُلحقت بـ (لا) فأَصْبَحَتْ (هلاَّ) .
لو : أُلحقت بـ (لا) فأصبحت (لولا) .
ألا : أُلحقت بـ (لا) فأصبحتْ (ألاَّ) .

---

(١) الكتاب لسيبويه ، ط بولاق ، ٤٥٨/١ - ٤٥٩ .

وبذلك جعلت كل منها مع (لا) بمثابة حرف واحد ، وتقدمت الفعل حيث دخل فيهن معنى التحضيض .

وقد أجاز بعض النحويين تقديم الاسم في الشعر . نحو :

صَدَدْتَ فأطْوَلْتَ الصُّدودَ وقلّما وِصالٌ على طول الصدود يدومُ

والشاهد فيه تقديم الاسم (وصال) ، لأن أساس الكلام : قلّما يدوم وصال .

ـ إذا اجتمع بعد حرف الاستفهام نحو (هَلْ) و (كَيْفَ) و (مَنْ) اسم وفعل ؛ فإن الفعل هو الذي يلي حرف الاستفهام[1] لأن حروف الاستفهام من الحروف التي يُذْكر بعدها الفعل ، ولا تتقدّم فيها الأسماء الفعلَ . نحو : هل جاء زيد ؟ وهذا أفضل من القول : هل زيدٌ جاء ؟

ـ وهناك حروف يجوز أن تليها الأسماء، ويجوز أن تليها الأفعال . ومن هذه الحروف: (لكنْ) و (إنّما) و (كأنّما) و (إذ) .

وهذه الحروف لا عمل لها ، لذلك تبقى الأسماء بعدها على حالها كأنّه لم يُذكر قبلها شيءٌ . ولهذا لا يكون الاسم أولى من الفعل بالمجيء بعدها . نحو قولنا : العلمُ يفيد صاحبه . فلو جعلنا (إنّما) في أول قولنا : (إنّما العلمُ يفيدُ صاحبه) ، فإنها لا تؤثّر في حال الاسم الذي يليها (العلمُ) ويبقى الفعل على حاله مرفوعاً . ثم لو قدّمنا الفعل في هذا القول على الاسم ، نحو : إنما يفيدُ العلمُ صاحبه. (فالعلم) يصبح (فاعلاً مرفوعاً) للفعل المضارع المرفوع (يفيدُ) بعد أن كان في الجملة الأولى مبتدأ .

---

(١) المصدر نفسه ، ١/٤٥٦ ـ ٤٥٨ .

محسنات علم البديع

وهي قسمان :

١ ـ المحسّنات المعنوية

٢ ـ المحسّنات اللفظية

المحسّنات المعنوية : ومنها: المطابقة ـ التورية ـ صحة التفسير ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم ـ تأكيد الذم بما يشبه المدح ـ أسلوب الحكيم ـ اللغز ـ المقابلة ـ التمثيل ـ التذييل ـ مراعاة النظير ـ الاستطراد.

المطابقة

هي الجمع بين الشيء وضدّه[1] . نحو قوله تعالى : ﴿قل اللهمّ مالك الملك تُؤتي الملك مَنْ تشاء وتنزعُ الملك مِمَّنْ تشاء وتعزّ مَنْ تشاء وتُذِلُّ من تشاء ﴾[2] .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وتحسَبُهُم أيْقاظاً وهُمْ رقودٌ ﴾[3] ،وهنا طابق مفرداً بمفرد .

وقال ابن عبد الحرث يصف الشيب :

حتى كأنّ قديمَه وحديثَه لبلٌ تلفّع مدبراً بنهارِ

---

(١) كتاب الصناعتين، ٢٣٨.

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٢٦.

(٣) سورة الكهف ، الآية ١٨ .

فطابق بين اثنين باثنين . حيث طابق بين الشيب والشباب وبين الليل والنهار .

وقال جرير :

وباسط خير فيكمُ بيمينه وقابض شر عنكم بشماليا

فطابق بباسط وقابض ، وخير وشر ويمين وشمال . ففي هذا البيت طباق ثلاثة بثلاثة ، وكذلك أربعة بأربعة بزيادة : فيكم وعنكم . وقد تكون المطابقة بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة . كقول الحطيئة :

واخذت أطرار الكلام فلم تدعْ شتماً يضرّ ولا مديحاً ينفعُ

فذكر الشتم على وجه التقريب .

وقال المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فطابق خمسة بخمسة : أزورهم وأنثني - سواد وبياض - الليل والصبح - يشفع ويغري - لي وبي .

وقال الصاحب الإربلي :

على رأس عبدٍ تاجُ عزّ يزينه وفي رِجْلِ حُرٍّ قيْدُ ذلّ يشينه

فطابق ستة بستة : على وفي - رأس ورجل - عبد وحرّ - تاج وقيد - عزّ وذلّ - يزينه ويشينه .

التورية

هي أن تكون الكلمة ذات مدلولين، ويستعمل المتكلّم أحدهما ويهمل الآخر ، ومراده ما أهمله لا ما استعمله . نحو قول الشاعر :

أبيات شِعْرِكِ كالقصو ر ولا قُصُورَ بها يعوقُ

الشاهد في هذا البيت : (القصور) الأولى والثانية ، فاللفظة الأولى تعني القصر أي البناء الفخم ، واللفظ الثاني يعني الضعف أو الخَلَل .

أنواع التورية

للتورية أربعة أنواع :

١ ـ **التورية المجرّدة** : هي التي لم يُذكر فيها لازم من لوازم المورّى به ، ولا من لوازم المورّى عنه . نحو قوله تعالى : ﴿ ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾[1]. الشاهد فيه : (جَرَحْتُم) . ولهذا اللفظ معنيان :

١ ـ الجِراح : مما يصيب الجسم وربما يُسيل منه الدماء .

٢ ـ الأذى : مما يكون الإنسان قد ارتكبه من أعمال سيّئة ، ومع ذلك ليس في الآية ما له علاقة بأحد المعنين .

٢ ـ **التورية المرشّحة** : هي التي ذُكر فيها لازم من لوازم المورّى به . ويأتي هذا اللازم المذكور قبل لفظ التورية أو بعده .

أ ـ مما ذكر لازم المورّى به قبل لفظ التورية نحو قولنا : العلم رفعناه **بأقلامنا** .

الشاهد فيه : (أقلام) . ولها معنيان :

١ ـ مفردة (قَلَم) وهو أداة الكتابة العاديّة.

٢ ـ الكتابات والآراء الفكرية والنقدية التي ترفع من شأن العلم .

ب ـ ممّا ذكر لازم المورّى به بعد لفظ التورية : نحو قول ذي الإصبع العدواني :

إني أبيٌّ أبيٌّ ذو محافظة وابن أبيٍّ من أبيّين[2]

الشاهد فيه (أبيّين) أي رجل أبيّ من قوم (أبيّين) من (أَبَى يَأْبَى) . بدليل ذكر(ذو محافظة) وتعني الحفاظ على القيم والمبادىء .

والمعنى الثاني للشاهد مثنى (أبيّ أبيّ) . وليس هذا المعنى المراد .

ومثله قول الشاعر :

مُذْ هِمْتُ من وجدي في خالها ولم أصِلْ منه إلى اللَّثم.

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٦٠ .

(٢) كتاب الصناعتين ، ٢٩٢ .

قالت : قفوا واستمعوا ما جرى خاليَ قد هَامَ به عمّي

٣ ـ **التورية المبيّنة** : هي ما ذكر فيها لازم الموَرّى عنه قبل لفظ التورية أو بعده .

أ ـ ما ذكر لازم الموَرّى عنه قبل لفظ التورية . نحو قول الشاعر :

والطير أجمل ما تغرّ د عندما يقع النّدى

الشاهد فيه لفظة (الندى) . ولها معنيان :

١ ـ النّدى بمعنى الكرم والجود .

٢ ـ النّدى بمعنى الطلّ أي ما يسقط من رذاذ الماء ليلاً على الطبيعة . وهذا هو المعنى المقصود باعتبار ذِكْر لازمه قبله وهو (تغرّد) ، حيث يتصاحب تغريد الطيور مع سقوط الندى . ومثله قول الشاعر :

أبوك أبٌ ما زال للناس موضعاً لأعناقهم نقراً كما ينقر الصقرُ
إذا عوّج الكتّابُ يوماً سطورَهم فليس بمعوّجٍ له أبداً سطرُ

ب ـ ما ذُكر لازم الموَرّى عنه بعد لفظ التورية . نحو قول امرىء القيس :

على سابح يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كَزٍّ ولا وانِ

الشاهد فيه : (أفانين جرى) ولها معنيان :

أ ـ أنواع من السير السريع .

ب ـ أنواع من الجودة والعطاء . بدليل أنها جاءت بعد عبارة (يعطيك قبل سؤاله) وهذه من صفات الإنسان الجواد الكريم .

٤ ـ **التورية المهيأة** : وهي تكون بلفظين ، لولا كل منهما لما تهيّأتْ التورية في الآخر ولا فَطِنَ لوجودها أحد . نحو ما فعل العنبري « إذ بعث إلى قومه بصرّة شوك وصرّة رمل وحنظلة » . . . والمراد : جاءتكم بنو حنظلة في عدد كثير ككثرة الرمل والشوك .

ومثالها أيضاً قول الشاعر :

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلا لِتَضْربي بسَهمَيْكِ في أعشار قلب مقتَّلِ

الشاهد فيه (بسهمَيكِ) . وله معنيان :

أ ـ السهم العادي الذي يصيب القلب، فيقتل المصاب .

ب ـ سهم العين ، أو لحاظها أو نظراتها ، بدليل ذكر (عيناك)، فلولا ذكرها لما كان المفهوم من كلمة (بسهميك) هذا المعنى.

صحّة التفسير

هو أن يورد الكاتب أو الشاعر المعاني فيحتاج إلى شرح أحوالها فتأتي المعاني من غير عدول عنها أو زيادة تزاد فيها في الشرح[1] . نحو قوله تعالى : ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾[2] . فجعل السكون لليل ، وابتغاء الفضل للنهار .

ومثاله قول الفرزدق :

لو جئتُ قوماً لو لجأتُ إليهم طريدَ دمٍ أو حاملاً ثقل مغرمِ
لألفيتُ فيهم معطياً أو مطاعناً وراءك شزراً بالوشيج المقوَّمِ

ففسّر قوله (حاملاً ثقل مغرم) بقوله الآخر (تلقى فيه من يعطيك) ؛ كما فسّر قوله (طريد دم) بقوله الآخر (تلقى فيهم من يطاعن دونك) .

ومثاله قول صالح بن جناح اللخمي :

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلم إنّني إلى الجهل في بعض الأحايين أحوجُ
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرجُ
فمن رام تقويمي فإنّي مقوّم ومن رام تعويجي فإنّي معوّجُ

وقول ابن مطير في وصف السحاب :

وَلَهُ بلا حزن ولا بمسرّةٍ ضَحِكٌ يراوح بينه وبكاءُ

وقول آخر :

فألقت قناعاً دونه الشمس واتّقتْ بأحسن موصولين كفٌّ ومعصمِ

وقول آخر :

كيف أسلو وأنتِ حِقْفٌ وغصن وغزال لحظاً وردفاً وقدّا

ومن عيوب التفسير ، ما أنشد قدامة :

فيا أيها الحيران في ظلمة الدجى ومن خاف أن يلقاه بَغْيٌ من العدا

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ٢٨٧١ .
(٢) سورة القصص ، الآية ٧٣ .

تـمـال إلـيـه تَـلْقَ مـن نـور وجـهـه ضـيـاء ومن كفَّيـه بحـراً من الـنـدا

وكان يجب أن يأتي بإزاء البغي في العدى بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر أو ما يجانس ذلك مما يحتمي به الإنسان كما وضع بإزاء الظلمة الضياء. أما أنه وضع بإزاء ما يتخوف من بغي الأعداء بحراً من الندى فذلك مما ليس بالتفسير السليم.

تأكيد المدح بما يشبه الذمّ[1]

تأكيد المدح بما يشبه الذمّ نوعان :

النوع الأول

هو أن يُستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها في صفة الذمّ. كقول النابغة :

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

الشاهد في البيت أن الشاعر نفى عن ممدوحيه صفة العيب ، ثم عاد وأثبت لهم عيباً تمثّل في أن سيوفهم فيها نتوءات من شدّة قراع سيوف أعاديهم. وهذا ليس عيباً ، وإنما صفة مدح لممدوحيه عمد إلى تأكيدها بما يشبه الذم.

النوع الثاني

يتمثل هذا النوع في إثبات صفة مدح لشيء ما ، تتبعها أداة استثناء بحيث يكون المستثنى بها صفة مدح أخرى لذلك الشيء. نحو قول الشاعر :

هو البدر إلا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضرغام لكنه وبل

فصفة المدح (هو البدر) وقد تبعها استثناء (إلا وسوى) فجاءت لفظة (البحر) ولفظة (الضرغام) لتثبت للممدوح صفات مدح أخرى.

---

(1) تجدر الإشارة ههنا إلى أن أول من فطن إلى هذا النوع من فنون البديع المعنوي هو عبد الله ابن المعتز في كتابه (البديع).

نماذج لتأكيد المدح بما يشبه الذمّ

● من النوع الأول

● وقال ابن الرومي :

ليس له عيب سوى أنه — لا تقع العين على مثله

● وقال حاتم الطائي :

وما تشتكي جارتي غير أنني — إذا غاب عنها بعلُها لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع أهلها — إليها ولم تُقْصرْ عليّ ستورُها

● وقال العسكري :

ولا عيب فيه غير أن ذوي الندى — خِساسٌ إذا قيسوا به ولئامُ

● وقال صفي الدين الحلي :

لا عيب فيم سوى أن النزيل بهم — يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

● من النوع الثاني :

● قال الشاعر :

أدافع عن أحسابهم غير أنّني — وحاشاي يوماً لا أمنّ عليهمو

● وقال الآخر :

أطلب المجد دائباً غير أنّي — في طلابي لا تعرف اليأس نفسي

* * *

تأكيد الذمّ بما يشبه المدح

يأتي تأكيد الذمّ بما يشبه المدح على ضربين :

الضرب الأول

هو أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها في صفة مدح . نحو قولك : فلان لا أمل فيه إلا أنه يضرّ بمن أدّى إليه منفعة .

الضرب الثاني :

هو أن تُثْبت صفة ذم لشيء ما ، وتعقبها أداة استثناء ، ثم تليها صفة ذم أخرى لهذا الشيء . نحو : فلان ماجن إلا أنه ساذج .

* * *

أسلوب الحكيم واللغز

هو إجابة المخاطب بغير ما كان يترقّبه وهو على نوعين :

النوع الأول

يكون بترك سؤال المخاطب، والإجابة عن سؤال لم يسأله . مثال ذلك أنه قيل لتاجر : كم رأس مالك ؟ فقال : إني أمين . ففي هذا المثال صرف التاجر سائله عن رأس ماله ببيان ما هو عليه من الأمانة وثقة الناس به . وهاتان الصفتان هما أجلب للربح وحسن التجارة .

النوع الثاني

يكون بحمل كلام المخاطب على غير ما كان يقصد ، إشارةً إلى أنه كان ينبغي أن يسأل هذا السؤال ، أو يقصد هذا المعنى . من ذلك قول الشاعر :

جاءني ابني يوماً وكنت أراه ... ليَ ريحانة ومصدر أنسي

قال: ما الروح؟ قلت إنك روحي ... قال: ما النفس؟ قلت إنك نفسي

ومن أمثلة أسلوب الحكيم قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾[1] .

ومن أمثلته أيضاً قول الشاعر :

ولما نعى الناعي سألناه خشية ... وللعين خوف البين تسكب أمطار[2]

أجاب : قضى ! قلنا : قضى حاجة العلا ... فقال : مضى ! قلنا : بكل فخار

المقابلة

المقابلة هي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة[3] . نحو قول الجعدي :

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٩ .

(٢) ورد في هذا البيت إقواء والأمل (أمطاراً) .

(٣) كتاب الصناعتين، ٢٦٤ .

فتى كان فيه ما يسرّ صديقه　　على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا

وقول الآخر :

وإذا حديثٌ ساءني لم أكتئبِ　　وإذا حديث سرّني لم آشرِ

أنواع المقابلة

١ - مقابلة الفعل بالفعل نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْراً ومَكَرْنا مَكْراً ﴾[1] . فالمكر من الله تعالى : العذاب ، جعله الله مقابله لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته . ومثله قول الشاعر :

ومن لو أراه صادياً لسقيتهُ　　ومن لو رآني صادياً لسقاني

ومن لو أراه عانياً لفديته　　ومن لو رآني عانياً لفداني

٢ - مقابلة اللفظ باللفظ نحو قول عمرو بن كلثوم :

ورثناهنّ عن آباء صدقٍ　　ونورثها إذا متنا بنينا

ومثله قول عديّ بن الرقاع :

ولقد تبيت يد الفتاة وسادة　　لي جاعلاً إحدى يديَّ وسادَها

٣ - مقابلة بالمعنى للمعنى نحو قول أحدهم :

وذي أخوة قطّعتُ أقران بينهم　　كما تركوني واحداً لا أخاً ليّا

ومثله قول آخر :

أسرناهم وأنعمنا عليهم　　وأسقينا دماءهم ، الترابا

فما صبروا لبأس عند حرب　　ولا أدّوا لحُسن يدٍ ثوابا

فجعل بإزاء الحرب ، إن لم يصبروا ، وبإزاء النعمة إن لم يثيبوا فجاءت المقابلة على وجه المخالفة .

ومثله قول آخر :

جزى الله عنا ذاتَ بَعْلٍ تصدّقتْ　　على عَزَبٍ حتى يكون له أهلُ

فإنا سنجزيها بمثل فعالها　　إذا ما تزوجنا وليس لها بعلُ

---

(١) سورة النمل ، الآية ٥٠ .

فجعل حاجته وهو عزب بحاجتها وهي عزب ووصاله إياها في حال عزبتها كوصالها إياه في حال عزبته . فقابل من جهة الموافقة .

* * *

ومن سوء المقابلة أن تذكر معنى تقتضي الحال ذكره توافقه أو تخالفه فيؤتى بما لا يوافق ولا يخالف. نحو قول امرىء القيس :

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

فإن لفظ (سوية) غير موافق للفظ (تساقط) ولا يخالفه . ومثله قول أبي عديّ القرشي :

يا ابنَ خير الأخيار من عبد شمس أنت زين الورى وغيث الجنودِ

فوضع زين الورى مع غيث الجنود ، فجاءت في غاية السماجة .

ومن مختار المقابلة ما كتب الحسن بن وهب :

لا ترضَ لي بيسير البِرّ فإني لم أرض لك بيسر الشكر . ودع عني مؤونة التقاضي كما وضعت عنك مؤونة الإلحاح . وأحضر من ذكري في قلبك ما هو أكفى من قعودي بصدرك. فإني أحق من فعلت به كما أنك أحق من فعله بي . وحقق الظن فليس وراءك مذهب ، ولا عنك مقصر .

التمثيل أو المماثلة

معنى التمثيل أو المماثلة أن يريد المتكلم معنى فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر ، إلا أن هذا المعنى ينبىء عن المعنى المقصود[1] . نحو : فلان نقي الثوب . فالمعنى المقصود أنه لا عيب فيه . وليس موضوع نقاء الثوب النقاء من العيوب وإنما استعمل تمثيلاً .

ومثله : فلان طاهر الجيب . أي ليس بخائن ولا غادر . وفلان دنس الثوب : أي غادر فاجر .

ومثله قوله تعالى : ﴿ ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلَى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كلَّ

---

(١) نقد الشعر ، ص ١٥٧ .

البَسْط ﴾[1]، فهنا تمثيل البخيل الممتنع من البذل بالمغلول، لمعنى يجمعهما، وهو أن البخيل لا يمدّ يده بالعطية، فشبهه بالمغلول .

ومثال ذلك كثير في كلام العرب نذكر منه : فلان انكسرت شوكته ، وأفل نجمه ، وفُتَّ في عَضُده ، ورقّ جانبه ، ولانت عريكته ، الخ .

ومنه أيضاً قول رسول الله ﷺ : « إياكم وخضراء الدِّمَن » ، أراد المرأة الحسناء في منبت السوء، فأتى بغير اللفظ الموضوع لها تمثيلاً.

ومثله قول طرفة بن العبد :

أبيني أفي يُمنى يديك جَعَلْتني ... فأفرحُ أم صيَّرْتني في شمالك

أي : أبيني منزلتي عندك أوضيعة هي أم رفيعة . فذكر اليمين وجعلها بدلاً من الرفعة ، والشمال وجعلها عوضاً من الضعة.

ومثله قول زهير :

ومَنْ يَعْصِ أطراف الزجاج فإنه ... يطيع العوالي رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَم

المعنى المراد : من يرفض الصلح رضي بالحرب . فعدل عن لفظه وأتى بالتمثيل . فجعل (الزّجّ) للصلح لأنه مقبل في الصلح، وجعل (السنان) للحرب لأن الحرب تكون به .

ومثله قول امرىء القيس :

وما ذَرَفَت عيناكِ إلا لتضربي ... بِسَهْمَيْكِ في أعشارِ قلب مُقَتَّل

فقال : بسهميك . والمقصود : العينين .

ومما عيب في التمثيل قول أبي تمام :

أنت دلوٌ وذو السَّماح أبو ... موسى قليبٌ وأنت دلو القليبِ

أيها الدلو لا عَدِمْتُكَ دلواً ... من جياد الدِّلاءِ صُلْب الصليبِ

التذييل

قال بعض البلغاء : للبلاغة ثلاثة مواضع : الإشارة ، والتذييل ، والمساواة .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٢٩ .

التذييل : هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد منه مَنْ فَهِمَه .

وينبغي في التذييل أن يستعمل في المواطن الجامعة ، والمواقف الحافلة ، لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم ، والبعيد الذهن ، والثاقب القريحة ، والجيد الخاطر . فإذا تكرّرت الألفاظ على المعنى الواحد تأكّد للذهن اللَّقِن وصح للكليل البليد .

ومن أمثلة التذييل في القرآن الكريم :

﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾[1]

﴿ وهل نجازي إلّا الكفور ﴾[1]

﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مِتَّ فهم الخالدون ﴾[2]

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾[3] وكل هذا من التذييل .

ومثال التذييل في الشعر قول الحطيئة :

قومٌ هم الأنف والأذناب غيرهمُ ومن يقيس بأنف الناقة الذنبا

فاستوفى المعنى في النصف الأول ، وذيّل بالنصف الثاني .

ومثله قول طرفة :

لعمرُك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطِّوَل المُرْخَى وثِنْياه باليد

فالقسم الثاني من البيت تذييل .

ومثله قول أبي نواس :

عَرِمَ الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين وللزمان عُرامُ[3]

فقوله : « وللزمان عرام » تذييل .

مراعاة النظير

هو جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أي وجه من الوجوه .

---

(١) سورة سبأ ، الآية ١٧ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٣٤ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

(٣) عرامٌ : الشدة والأذى .

ومثاله قول البحتري واصفاً الإبل وقد أضناها المسير:

كالقسيّ المعطّفات بل الأسـ ... ـهم مبريّة بل الأوتار

فشبّه الإبل بالقسيّ . ولدى تكرار التشبيه أورد كلمة الأوتار لمناسبتها مع القسيّ . وكان بمقدوره أن يشبهها مثلاً بالعراجين لأن المعنى واحد في الانحناء والرقة . لكنه لم يفعل للحفاظ على قصد المناسبة بين الأسهم والأوتار .

ومثله أيضاً :

والطلُّ في سلك الغصون كلؤلؤ ... رطب يُصافِحُه النسيم فَيَسْقُطُ
والطيرُ يقرأُ والغدير صحيفة ... والريح تكتب والغمام ينقّطُ

ومن مراعاة النظير ما يسميه البعض (تشابه الأطراف)، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى . نحو قوله تعالى : ﴿ **له ما في السموات وما في الأرض وإنَّ الله لهو الغَنِيُّ الحميدُ** [(1)] ﴾. فالقول «الغني الحميد » دليل على أن ما لله ليس لحاجة لأنه غني عنه جواد به . فإذا جاد حمده المنعم عليه .

ومن مراعاة النظير ما يسميه البعض (إيهام التناسب)، ويقصد به الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان وإن لم يكونا مقصورين . نحو قوله تعالى : ﴿ **الشمسُ والقمرُ بحسبانٍ . والنجمُ والشجرُ يَسْجُدَان** ﴾[(2)]. فالنجم نبات ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول ، فهو بهذا المعنى من غير جنس الشمس والقمر . وقد يكون بمعنى الكوكب وهو من جنسهما. فوقع لذلك ما سمي بإيهام التناسب .

الاستطراد

الاستطراد هو أن يأخذ المتكلّم في معنى ، فبينا يمرّ فيه يأخذ في معنىً آخر ، وقد جعل الأول سبباً له .

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهْتَزَّتْ ورَبَتْ** ﴾[(3)] .

---

(١) سورة الحج ، الآية ٦٤.
(٢) سورة الرحمن، الآيتان ٦ و ٧.
(٣) سورة فُصِّلت، الآية ٣٩.

الشاهد في هذه الآية الكريمة أنه بينما يدل الله سبحانه وتعالى على نفسه بإنزال الغيث واهتزاز الأرض بعد خشوعها ورد تابع الآية السابقة ... ﴿ إن الذي أحياها لمحيي الموتى ﴾ [1] فأخبر عن قدرته على إعادة الموتى بعد إفنائها ، وإحيائها بعد إرجائها . وقد جعل ما تقدم من ذكر الغيب والنبات دليلاً عليه ولم يكن في تقدير السامع لأول الكلام .. إلا أنه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر دون الدلالة على الإعادة فاستوفىٰ المعنيين معاً [2] .

ومثاله أيضاً قول حسان بن ثابت :

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدثْتِني ... فنَجَوْتِ مَنْجى الحارث بن هشامِ
تَرَكَ الأحبةَ أن يقاتلَ عنهمُ ... ونجا برأس طِمِرَّةٍ [3] ولجامِ

وذلك أن الحارث بن هشام فرّ يوم بدر عن أخيه أبي جهل ، وقال معتذراً :

الله يعلم ما تركتُ قتالهم ... حتى عَلَوا فرسي بأشقر مزبِدِ
وعلمتُ أني إن أقاتل واحداً ... أقتل ولا يَضْرُرْ عدوّي مشهدي
وشممتُ ريح الموت من تلقائهم ... في مأزق والخيل لم تتبدّدِ
فصدَدْتُ عنهم والأحبةُ فيهم ... طمعاً لهم بعقاب يومٍ مُرْصَدِ

وكان الحارث أول من اعتذر من هزيمة رويت عن العرب .

ومثال الاستطراد كذلك قول أبي تمام :

وسابحٍ هطلِ التعداء هتّانِ ... على الجراء أمين غير خوّانِ
أظمى الفصوصَ ولم تظمأ عرائكه ... فخلّ عينيك في ظمآنَ ريّانِ
فلو تراه مُشيحاً والحصى زِيَمٌ ... تحت السنابك من مثنى ووحدانِ
أيقنتَ إنْ لم تَثَبَّتْ أن حافره ... من صخر تَدْمُرَ أو من وجه عثمانِ

فبينما يصف الشاعر قوائم الفرس خرج إلى هجاء عثمان بن إدريس السامي .

من الاستطراد نوع آخر وهو أن يجيء بكلام يظن أنه يبدأ فيه بزهد وهو يريد غير ذلك كقول الشاعر :

---

(١) سورة فُصِّلَتْ، الآية ٣٩.

(٢) راجع كتاب الصناعتين ، ص ٣١٦ .

(٣) الطِمِر بتشديد الراء : الفرس الجواد ؛ وقيل : المستفز للوثب ، والأنثى طِمّرة .

يا من تشاغل بالطَلَلْ . أقصِرْ فقد قربَ الأجَلْ
واصل غُبوقك بالصبو وَعَدّ عن وصف المَلَلْ

أمثلة للاستطراد

● قال البحتري في الفرس :

ما إن يعاف قذىً ولو أوردتَهُ يوماً خلائق حَمْدَوَيْهِ الأحول

● وقال بشار بن برد :

فما ذرّ قرنُ الشمس حتى كأننا من العيّ نحكي أحمد بن هشامِ

● وقال مسلم :

وأحببتُ من حبّها الباخلين حتى وَمَقْتُ ابن سَلْمٍ سعيدا
إذا سيل عُرْفاً كسا وجهه ثياباً من البخل زرقاً وسوداً
يغار على المال فعل الجوا د وتأبى خلائقه أن يجودا

● وقال زهير بن أبي سلمى :

إنّ البخيل ملومٌ حيث كان ولـ كنّ الجواد على علاّته هَرِمُ

● وقال السموءل :

وإنا أناس لا نرى الناس سُبَّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

● وقال الشاعر :

إذا ما اتّقى اللّهَ الفتى وأطاعه فليس به بأسٌ وإن كان من عُكْلِ

المحسنات اللفظية

تشتمل المحسّنات اللفظية : الجناس - السجع - الترصيع - الاقتباس والتضمين - التوشيح - التقسيم الصحيح - جمع المؤتلف والمختلف.

الجناس

هو تشابه لفظين في الكتابة واختلافهما في المعنى. ومثاله قول الشاعر :

عضّنا الدهر بنابه ليت ما حلّ بنا به

والجناس نوعان : تامّ وغير تامّ :

أ - الجناس التامّ

هو أن لا يتفاوت المتجانسان في اللفظ[2] ، وذلك في أربعة أمور هي :

١ - أنواع الحروف

٢ - أعداد الحروف

٣ - هيئة الحروف من حيث الحركات والسكنات

٤ - ترتيب الحروف

وهذا الجناس التام يقسم ثلاثة أقسام :

---

(١) راجع كتاب الصناعتين ، ص ٢٤٩ .

(٢) مفتاح العلوم، ٤٢٩.

١ ـ **الجناس المماثل** : هو ما كان لفظاه من نوع واحد ، بمعنى أن يكون اسمين أو فعلين أو حرفين .

أ ـ مثال ما كان لفظاه اسمين :

إذا العين راحت وهي عين على الهوى فليس بسرٍّ ما تسرّ الأضالعُ

الشاهد لفظا (العين) و (عين) فكلاهما اسم . لكن الأول بمعنى العين العادية ، والثاني بمعنى الجاسوس . فهذا هو الجناس المماثل .

ب ـ ومثال ما كان لفظاه فعلين قول الشاعر :

قوم لو أنّهم ارتاضوا لما قرضوا أو أنّهم شعروا بالنقص ما شعروا

الشاهد في لفظي (شعروا) و (شعروا) ، فالأول معناه الشعور والاحساس ، والثاني معناه (نظم الشِّعر) . فكلاهما فعل . وهذا جناس مماثل أيضاً .

جـ ـ ومثال ما كان لفظاه حرفين : من الطلاب من يدرس من المساء حتى منتصف الليل . فالحرف (من) في (من الطلاب) يفيد التبعيض ، والحرف (من) في (من المساء) يفيد معنى الابتداء أي ابتداء المغيب . فلذلك نجد بين الحرفين جناساً لتماثلهما في اللفظ واختلافهما في المعنى .

٢ ـ **الجناس المستوفى** : هو ما كان لفظاه من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة . كأن يكون أحدهما اسماً والآخر فعلاً ، أو أن يكون أحدهما حرفاً والآخر اسماً أو فعلاً .

أ ـ مثال ما كان أحد لفظيه اسماً والآخر فعلاً : دَارِهم ما دمت في دَارِهم . فالجناس في لفظي (دارِهم) ، فالأول فعل أمر لفعل (يداري) ، أي يعتني ، والثاني اسم معناه المنزل أو البيت .

ب ـ ومثال ما كان أحد لفظيه فعلاً والآخر حرفاً قول الشاعر :

ولو انّ وصلاً عللّوأه بقربه لما أنَّ من حمل الصبابة والجوى

فلفظة (أنّ) الأولى هي حرف توكيد ونصب . ولفظة (أنّ) الثانية هي فعل ماض من الأنين .

ومثله أيضاً :

علا نجمُه في عالم الشعر فجأة على أنه ما زال في الشعر باديا

الجناس بين (علا) الفعل و (على) حرف الجر .

٣ ـ جناس التركيب : هو ما كان أحد لفظية كلمة واحدة ، والآخر مركباً من كلمتين. وجناس التركيب على ثلاثة أنواع :

أ ـ المتشابه : إذا وقع أحد المتجانسين في التام مركّباً ولم يكن مخالفاً في الخط[1] نحو قول الشاعر :

إذا ملك لم يكن ذا هِبَة فدعه ، فدولته ذاهبَهْ

الشاهد هو الجناس في لفظ (ذا هبة). الأول ، وهو مركب من اسم من الأسماء الخمسة (ذا) ومن (هبة) بمعنى العطاء ؛ واللفظ الثاني (ذاهبة) اسم فاعل مشتقّ من فعل ذهب ، ومعناه (زائلة) .

ب ـ المفروق : هو ما تشابه لفظاه نطقاً وليس كتابة أو ما كان مخالفاً في الخط[2] . نحو قول الشاعر:

طرقتُ الباب حتى كلَّ متني ولما كلَّ متني كلَّمَتْني

الشاهد هو الجناس في لفظي (كلّ متني) و (كلّمتني) فالأول مركب من فعل (كلّ) بمعنى تعب ، و (متني) بمعنى كتفي . والثاني بمعنى أجابتني أو حدثتني .

جـ ـ المركّب : هو ما كان أحد لفظيه كلمة واحدة ، والآخر مركباً من كلمة وجزء من كلمة أخرى .

ومثاله قول الحريري :

والمكرُ مهما اسطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمه

الشاهد هو الجناس في لفظي (مكرمه) . الأول مركب من كلمة (المكر) وجزء من (مهما) والثاني (المكرمه) اسم قائم بذاته .

---

(١) مفتاح العلوم، ٤٣٠ .

(٢) مفتاح العلوم، ٤٣٠ .

ومثله قول الحريري أيضاً :

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يحاكي المُزْنَ حالُ مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة مَلْقاه ومطعم صابه

الجناس بين لفظي (مصابه) في البيت الأول ، و (م صابه) المركبة من آخر حرف كلمة مطعم و (صابه) في آخر البيت الثاني .

ب - الجناس الناقص

هو أن يختلف المتجانسان في الهيئة دون الصورة[1]، أي هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المطلوبة للجناس التام ، وهي : أنواع الحروف - عدد الحروف - هيئة الحروف - ترتيب الحروف .

أولاً : اختلاف اللفظين في أنواع الحروف شريطة ألّا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد . ويأتي هذا الجناس على نوعين :

١ - الجناس المضارع : هو أن يختلف المتجانسان بحرف أو حرفين مع تقارب في المخرج . وقد يقع هذا الاختلاف:

في أول اللفظ نحو: «ليل داج ونهار ساج». الشاهد لفظي (داج) و (ساج)، فقد اتفقتا في جميع الحروف باستثناء الحرف الأول (د) في الأول و (س) في الثاني.

في وسط اللفظ نحو قوله تعالى : ﴿ وهم ينهوْن عنه وينأوْن عنه﴾[2]. الشاهد في لفظي (ينهون) و (ينأون)، فقد اتفقا في جميع الحروف واختلفا في حرف واحد ورد في وسط كل من اللفظين ، (الهاء) في الأول ، و (الهمزة) في الثاني.

في آخر اللفظ نحو قول رسول الله ﷺ : «الخيل معقود بنواصيها الخير». الشاهد هو الجناس في لفظي (الخيل) و (الخير). فقد اتفقتا في جميع الحروف

(١) مفتاح العلوم، ٤٢٩

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٢٦ .

باستثناء الحرف الأخير في كل منهما: (ل) في (الخيل)، و (ر) في (الخير).

٢ ـ **الجناس اللاّحق** : هو اختلاف المتجانسين بحرفين متباعدين في المخرج . وقد يقع هذا الاختلاف :

ـ **في أول الكلمة** . نحو قوله تعالى : ﴿ **ويل لكل هُمزة لمَزة** ﴾[1]. الشاهد هو الجناس في لفظي (هُمزة) و (لمزة) ، فقد تشابه اللفظان في جميع مخارج الحروف باستثناء الحرف الأول في كل منهما : (الهاء) في الأول ، و (اللام) في الثاني .

ـ **في وسط الكلمة** . نحو قوله تعالى : ﴿**ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون**﴾[2]. الشاهد هو الجناس في لفظي (تفرحون) و (تمرحون) حيث اتفقا في جميع الحروف ما عدا الحرف الثاني في كل منهما: (الفاء) في الأول و (الميم) في الثاني.

ـ **في آخر الكلمة**. نحو قوله تعالى: ﴿**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف ذاعوا به**﴾[3]. الشاهد هو الجناس في لفظي (أمر) و (أمن)، فقد اتفقا في جميع الحروف واختلفا في الحرف الأخير في كل منهما: (الراء) في الأول، و (النون) في الثاني.

ثانياً : اختلاف اللفظين في أعداد الحروف ويسمّى هذا جناساً ناقصاً، ويكون في نقصان حروف أحد اللفظين عن الآخر، لذلك يأتي على نوعين :

١ ـ **المطرّف** : هو ما كانت الزيادة في أحد لفظيه بحرف واحد . وسمي

---

(١) سورة الهمزة، الآية ١ .
(٢) سورة غافر ، الآية ٧٥.
(٣) سورة النساء ، الآية ٨٣

مطرفاً لتطرّف الزيادة فيه . وقد تكون هذه الزيادة :

- في أول الكلمة . نحو قوله تعالى : ﴿ والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذٍ المساق ﴾[1].

الشاهد هو الجناس في لفظي (الساق) و (المساق). فقد وردت زيادة حرف (الميم) في أول لفظ (المساق) .

- في وسط الكلمة . نحو قول الشاعر :

يقولون جدّي أن أرى الفقر مائلاً ويا طول جهدي في القضاء على الفقر

الشاهد هو الجناس في لفظي (جَدّي) بمعنى الحظ ، و (جهدي) بمعنى التعب . فقد وردت زيادة حرف (الهاء) في اللفظ الثاني (جهدي) .

- في آخر الكلمة . نحو قول الشاعر :

اشكو وأشكر فعله فاعجب لشاكٍ منه شاكرْ

الشاهد هو الجناس في لفظي (شاك) و (شاكر) حيث وردت زيادة حرف (الراء) في آخر اللفظ الثاني .

٢ - المذيّل : هو أن يختلف المتجانسان بزيادة حرف أو أكثر من حرف واحد في آخره. نحو قول الشاعر :

إن البكاء هو الشفا ءُ من الجوى بين الجوانحْ

الشاهد هو الجناس في لفظي (الجوى) و (الجوانح) حيث وردت زيادة حرفين في آخر اللفظ الثاني (الجوانح) . أو كقولك (بزيادة حرف واحد)[2] : وجدي وجهدي - كاس وكاسب - مالي وكمالي .

ثالثاً : اختلاف اللفظين في هيئة الحروف الحاصلة من الحركات والسكنات والنقط . ويأتي الجناس في حال اختلاف اللفظين في هيئة الحروف على نوعين هما :

---

(١) سورة القيامة ، الآيتان ٢٩ و ٣٠ .

(٢) مفتاح العلوم، ٤٢٩ .

الجناس المحرّف والجناس المصحّف

١ - **الجناس المحرّف** : هو ما اتفق لفظاه في عدد الحروف وترتيبها ، واختلفا في الحركات فقط ، سواء كانا اسمين أم فعلين أم من اسم وفعل أو غير ذلك . فإن المقصود اختلاف الحركات . نحو قول رسول الله ﷺ : « اللهم كما حَسَّنْتَ خَلْقي فحسِّن خُلُقي » .

الشاهد هو الجناس في لفظي (خَلْقي وخُلُقي) ، فقد اتفقا في عدد الحروف وترتيبها ، غير أنهما اختلفا فقط في حركاتها: الأول (خَلْقي) بمعنى (وجودي) لأن الله خالق كل شيء ، جاءت الفتحة في أوله ، واللفظ الثاني (خُلقي) بمعنى الأخلاق والطبائع ، فقد جاءت الضمة في أوله ، فكان الاختلاف واقعاً بين اللفظين فقط في حركات أولهما.

٢ - **الجناس المصحّف** : ما اتفق لفظاه ترتيباً وعدد حروف واختلفا في النقط ليس غير. نحو قول أبي فراس:

من بحر جودك أغْتَرِفْ   وبفضل علمك أعْتَرِفْ

الشاهد هو الجناس في لفظي (أغترف) بمعنى أنهل ، و (أعترف) بمعنى أُقِرّ ، فقد اتفقا في جميع الحروف ، واختلفا فقط في النقط بين (الغين) في الأول ، و (العين) في الثاني .

رابعاً : اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف :

هو أن يشتمل كل من اللفظين على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقصان ، لكن يكون أحدهما مخالفاً للآخر في ترتيب الحروف . ويسمى جناس قلب .

وهذا الجناس يأتي على أربعة أضرب :

١ - مقلوب الكل وهو ما كان أحد لفظيه مقلوباً في حروفه عن الآخر . نحو قول العبّاس بن الأحنف :

حسامك فيه للأحباب فَتحٌ   ورمحك فيه للأعداء حَتْفُ

الشاهد هو الجناس في لفظي (فتح) و (حتف) ، فلو عمدنا إلى قراءة

كلمة (فتح) من آخرها (ح ت ف) لحصلنا على اللفظ الثاني (حتف) . ثم لو قرأنا اللفظ الثاني (حتف) من آخره (ف ت ح) لحصلنا على اللفظ الأول (فتح) .

٢ ـ مقلوب البعض هو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب بعض الحروف كما في قول أبي تمام :

بيض الصفائح لا سود الصحائف في   متونهن جلاء الشك والرِّيَبِ

الشاهد هو الجناس في لفظي (الصفائح) و (الصحائف). فقد اختلفا في ترتيب بعض الحروف من دون زيادة أو نقصان في عددها .

ونحو قولنا : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا .

٣ ـ المقلوب المجنَّح هو ما كان أحد اللفظين اللذين وقع فيهما قلب الكل في أول البيت والثاني في آخره. نحو قول الشاعر :

قد لاح أنوار الهُدى   في كفِّه في كل حالِ

الشاهد هو الجناس في لفظي (لاح) و (حال) حيث وردت (الحاء) في آخر اللفظ الأول (لاح) وفي أول اللفظ الثاني (حال) .

٤ ـ القلب المستوي هو ما يمكن قراءة لفظية طرداً وعكساً دون أي تغيير في المعنى . نحو قوله تعالى : ﴿ وربّك فكبّر ﴾[1] . الشاهد هو قراءة هذه الآية من آخرها حتى أولها فتأتي قراءتها صحيحة كما كانت قراءتها من أولها حتى آخرها .

وتجدر الإشارة في هذا الجناس إلى أنه ليس جناساً بين لفظين فقط، كما ورد سابقاً، ولكنه جناس قد يكون في عبارة أو جملة تُقرأ طرداً وعكساً، فتبقى على حالها ومن دون تغيير في المعنى كقول الشاعر:

ليل أضاء هلاله أنى يضيء بكوكبِ

الشاهد في هذا البيت هو قراءة كل كلمة منه طرداً وعكساً فتبقى على حالها .

---

(١) سورة المدثر ، الآية ٣ .

كذلك قول الشاعر :

مـودّتـه تـدوم لـكـل هـولٍ وهـل كـلٌّ مـودّتـه تـدومُ

الشاهد في هذا البيت أن تقرأه من أوله حتى آخره ثم تقرأه من آخره حتى أوله ، فيبقى على حاله .

ملحقات الجناس

الجناس الملفّق : هو أن يكون كل من لفظي الجناس مركباً من كلمتين .

نحو قول الشاعر :

وكم لجباه الراغبين إليه من مجال سجودٍ في مجالس جودِ

الجناس في لفظي (مجال سجود) ولفظي (مجالس جود) .

وقول الآخر :

فلم تُضِع الأعادي قدرَ شاني ولا قالوا فلان قد رشاني

فالجناس الملفّق في (قدر شاني) و (قد رشاني) .

الجناس المزدوج والمكرر والمُردّد. نحو:

- من طَلبَ وَجَدَّ وَجَد (مزدوج).
- ﴿وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين﴾[1] (مكرر).
- هذا الشراب بغير النّغم غم ، وبغير الدسم سمّ (مردد) .

تجنيس مشوّش . نحو : بلاغة وبراعة .

تجنيس الاشتقاق : إذا كان المتجانسان يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق . نحو قوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين القيّم ﴾[2]: وقوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وريحانٌ ﴾[3].

عيوب الجناس . ومن أمثلة الجناس المعيب قول أبي تمام :

خَانَ الصفَا أَخٌ خَانَ الزَمَانُ أخاً عنه لم تتخوّن جسمَه الكمدُ

(١) سورة النمل ، الآية ٢٢ .

(٢) سورة الروم ، الآية ٤٣ .

(٣) سورة الواقعة ، الآية ٨٩ .

ومثله قوله :

إن مَنْ عَقَّ والديه لملعو	نٌ ومن عق منزلاً بالعقيق

ومثله قول مسلم بن الوليد :

سُلَّتْ وسَلَّتْ ثم سُلَّ سليلُها	فأتى سليلُ سليلها مسلولا

ومثله قول أحدهم :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه	ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألفُ

ومثله أيضاً :

فقلقلتُ بالهمّ الذي قلقل الحشى	قلاقلَ عِيسٍ كلهن قلاقل

نماذج للجناس

ل

● قال أبو تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه	يحيا لدى يحيى بن عبد الله

● وقال الشاعر :

سل سبيلاً إلى النجاة ودع دمو	ع عيوني يجري لهم سلسبيلا

● وقال الشاعر :

فقل لنفسك أيّ الضرب يوجعها	ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

● وقال الحريري : « لهمَ في السير جزي السيل ، وإلى الخير جَري الخيل » .

● فبحقّي عليك يا من سقاني	أرحيقاً سقيتني أم حريقا
● الصدق في أقوالنا أقوى لنا	والكذب في أفعالنا أفعى لنا
● أرى قدمي أراق دمي	وهان دمي فها ندمي
● ردّت رسولي خائباً	فمدامعي أبداً تدرُّ

● سر فلا كبا بك الفرس .

● تدبير معتصم ، بالله منتقم	لله مرتقب ، في الله مرتغبُ
● وسألتها بإشارة عن حالها	وعليّ فيها للوشاة عيونُ
● فتنفّست صُعُداً وقالت: ما الهوى	إلا الهوان فزال عنه النونُ
● يمدّون من أيدٍ عواص عواصمٍ	تصول بأسياف قواضٍ قواضبِ

السجـع

السجع كلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن[1] . قال الباقلاني : السجع هو موالاة الكلام على وزن واحد . نحو قوله تعالى : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب﴾ [3] .

ونشير إلى أن جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى وصفاء اللفظ وتضمن الطلاوة لما يجري مجراه من كلام الخلق . فإن قوله تعالى : ﴿ والعاديات ضَبْحاً . فالمُورِيَاتِ قَدْحاً . فالمُغِيْرَاتِ صُبْحَاً . فَأثَرْنَ بِهِ نَقْعاً . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً. . . ﴾ [4] يختلف تمام الاختلاف عن تسجيع الكهان . فاسمع قول أحدهم : والسماء والأرض . والقرض والفرض . والغمر والبرض . . . إن مثل هذا السجع مذموم لما فيه من التكلّف والتعسّف .

من هنا ندرك سبب نهي رسول الله ﷺ عن اتّباع سجع الكهان في قوله : « أسَجعاً كسجع الكهان » ! وهذا بدوره يشير إلى أن الرسول ﷺ لم يكن ينهى عن السجع إذا سلم من التكلف وبريء من التعسّف ، خصوصاً أنه جرى عليه كثير من كلامه . فعندما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال : « أيها الناس أفشوا السلام . وأطعموا الطعام . وصِلوا الأرحام . وصلّوا بالليل والناس نيام . تدخلوا الجنة بسلام » .

وجوه السجع

١ ـ أن يكون الجزءان متوازيين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه . ويسمى المرصّع . نحو : « سنة جَرَدَتْ . وحال جَهَدَتْ . وأيدٍ جَمَدَتْ . فرحم الله من رحم . فاقرض من لا يظلم » .

فهذه الأجزاء متساوية لا زيادة فيها ولا نقصان والفواصل على حرف واحد .

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ١٩٩ .
(٢) سورة الضحى ، الآيتان ٩ و ١٠ .
(٣) سورة الشرح ، الآيتان ٧ و ٨ .
(٤) سورة العاديات ، الآيتان ١ ـ ٥ .

ومثله أنه قيل لأعرابي : ما خير العنب ؟ قال : « ما اخضرّ عوده . وطال عموده . وعظم عنقوده » .

ومثله قول آخر : « فالأرض كأنها وشي منشور . عليه لؤلؤ منثور . ثم أتتنا غيوم جراد . بمناجل حصاد . فاحترثت البلاد . وأهلكت العباد » .

٢ ـ أن تكون ألفاظ الجزءين المزدوجين مسجوعة فيكون الكلام سجعاً في سجع . ويسمى المتوازي .

نحو قول الصاحب : « لكنه عمد للشوق فأجرى جياده غرًّا وقرحاً . وأورى زنده قدحاً فقدحا » .

ومثله قوله : « وقد كتبت إلى فلان ما يوجز الطريق إلى تخلية نفسه . وينجز وعد الثقة في فك حبسه » .

ومثله قول آخر : « حتى عاد تعريضك تصريحاً . وتحريضك تصحيحاً » . فالتعريض والتحريض سجع . والتصريح والتصحيح سجع . وهذا النوع من السجع إذا سلم من الاستكراه فهو أحسن وجوه السجع .

٣ ـ أن تكون الأجزاء متعادلة وتكون الفواصل على أحرف متقاربة المخارج إذا لم يكن ممكناً أن تكون من جنس واحد . وهذا النوع هو دون النوعين السابقين . ويمكن تسميته بالمطرّف .

مثاله قول أحد الكتاب : « إذا كنت لا تؤتى من نقص كرم . وكنت لا أوتي من ضعف سبب . فكيف أخاف منك خيبة أمل . أو عدولاً عن اغتفار زلل . أو فتوراً عن لمّ شعث . أو قصوراً عن إصلاح خلل » . فمثل هذا الكلام جيد التوازن . ولو أن الكاتب جعل بدل كلمة (سبب) كلمة أخرى تنتهي بالميم لتُوازن كلمة (كرم) ، لكان ذلك أكثر جودة .

شروط جودة السجع

١ ـ أن تكون كل فاصلتين على حرف واحد أو ثلاثة حروف أو أربعة لا تُجاوز ذلك ، فإن جاوز ذلك نسب إلى التكلّف .

٢ ـ أن تكون الأجزاء متوازية ، فهو أجمل ، وإن لم يكن ذلك فينبغي أن

يكون الجزء الأخير أطول . ومثاله قول الرسول ﷺ للأنصار يفضلهم على سواهم لأنهم كما قال لهم: «إنكم لَتكثرون عند الفزع. وتقلّون عند الطمع». ومنه قول أعرابي: «فلان صحيح النسب. مستحلم السبب من أيّ أقطاره أتيته أتى إليك بحسن مقال. وكرم فعال». فالظاهر أن العبارة الثانية (كرم فعال) أقصر من العبارة السابقة لها (.. أتى إليك بحسن المقال).

٣ - أن تكون الفواصل على وزن واحد . وإذا لم يكن ذلك ممكناً فينبغي أن يقع التوازن والتعادل . ومثاله قول أحدهم : « اصبر على حرّ اللقاء . ومضض النزال . وشدّة المصاع ، ومداومة المراس » . فلو قال : « على حرّ الحرب . ومضض المنازلة » ، لبطل رونق التوازن ، وذهب حسن التعادل .

ومن عيوب التسجيع والازدواج

١ - **التجميع**: وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة الفاصلة الجزء الثاني .

ومثاله : « وصل كتابك . فوصل به ما يستعبد الحرّ وإن كان قديم العبودية . ويستغرق الشكر وإن كان سالف ودّك لم يبق منه شيئاً » (فالعبودية) بعيدة عن مشاكلة (منه) .

٢ - **التطويل** : وهو أن تجيء بالجزء الأول طويلاً فتحتاج إلى إطالة الجزء الثاني ضرورةً .

ومثاله قول كاتب في تعزية : « إذا كان للمحزون في لقاء مثله أكبر الراحة في العاجل » (هذا هو الجزء الأول من الكلام جاء طويلاً ولم ينته ، فاستأنف الكلام ليقول) : « وكان الحزن راتباً إذا رجع إلى الحقائق وغير زائل » . (وهذا الجزء الثاني جاء طويلاً ضرورةً ليتناسب مع الجزء الأول ، فكان مستكرهاً متكلفاً عجيباً) .

وقد جاء السجع في الشعر كما جاء في النثر. ومثله قول امرىء القيس :

سليم الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسا[1]

---

(١) الشظى : عظم لاصق بالذراع . الشوى : اليدان والرجلان . شَنِج النَّسا : لم تسترخ رجلاه . النَّسا : عرق في الفخذ .

الترصيـــع

الترصيع هو أن يكون حشو البيت مسجوعاً[1] . نحو قول امرىء القيس :

فـتـور الـقـيـام قـطيـع الـكـلا ... م تَـفْـتَـرُ عـن ذِي غـرُوْبٍ خَـصِـرْ

ومثله قول زهير :

كَبْـداءُ مـقـبـلـةً عـجـزاءُ مـدبـرةً ... عـوجاءُ فيهـا إذا استعـرضتهـا خَضَـعُ

ومثله قول طرفة :

بـطيءٍ عن الجُلّى سـريـعٍ إلى الخنـا ... ذَلـولٍ بـأجـمـاع الـرجـال مـلَهَّـدِ

ومثله قول تأبط شرًّا:

حـمّـالُ ألـويـةٍ شـهـادُ أنـديـةٍ ... هـبّـاطُ أوديـةٍ جـوّالُ آفـاقِ

ومثله قول ابن الرومي :

حـوراءُ فـي وطفٍ قـنـواءُ فـي ذَلَـفٍ ... لـفّـاءُ في هَيَفٍ عـجـزاءُ في قَـبَـب

ومما جاء فيه الترصيع رديئاً قول الخنساء :

فـعّـالُ سـامـيـةٍ ورّادُ طـامـيـةٍ ... لـلـمـجـد نـامـيـةٍ تـعـنـيـه أسـفـارُ

ومثله في الترصيع الرديء :

عَـذْب مـقـبَّلُهـا جَـدْلٌ مُخـلْخَلُهـا ... كـالـدَّعْصِ أسفلُهـا محضـورةُ القـدمِ

الاقتباس والتضمين

الاقتبـاس

هو تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشـريف

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ٢٩٦ .

من غير دلالة على أنه منهما . ويجوز أن يغيَر في الأثر المقتبس قليلاً لملاءمة الوزن .

نحو قول الشاعر :

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير جُرْم « فصبرٌ جميلُ »
وإن تبدّلت بنا غيرنا « فَحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيلُ »

الشاهد هو التضمين في البيت الأول : « فصبر جميل » فهو مقتبس من قول الله تعالى : ﴿قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل، عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم ﴾[1] . وكذلك التضمين في البيت الثاني : « فَحَسْبنا الله ونعم الوكيل » فهو مقتبس من قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جَمَعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾[2] .

ومن الاقتباس ما ينقل محرّفاً في لفظه عن الأصل قليلاً ، كأن يقدِّم أو يؤخر في بعض ألفاظ الأصل . نحو قول الشاعر :

قلت دعني ، وجهك الجنة حفّت بالمكارهْ

الشاهد هو الاقتباس من حديث رسول الله ﷺ : « حفّت الجنة بالمكاره. وحفّت النار بالشهوات». فالظاهر أن الشاعر قد قدّم الجنة على الفعل (حفت)، بخلاف ما ورد في الحديث الشريف.

التضمين

ويسمى الانتحال[3] أو النسخ[4] ، أو وقوع الحافر على الخافرة[5]، وهو أن يضمن الشاعر شيئاً من شعر الغير في شعره. وهو أربعة أنواع :

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٣.
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٧٣ .
(٣) راجع كتاب الإيضاح للقزويني ، ص ٥٥٨ .
(٤) راجع كتاب المثل السائر لابن الأثير ٢٣٠/٣ .
(٥) راجع كتاب الصناعتين للعسكري ، ص ٢٢٩ .

١ ـ التضمين التام : وهو النوع الرئيس للتضمين ، ويسمّى الانتحال أو النسخ أو وقوع الحافر على الحافر . نحو قول الحارثي :

وقائلةٍ والدمع سكب مبادر وقد شرقَت بالماء منها المحاجرُ
وقد أبصرَت «نعمان» من بعد أنسها بنا، وهي منا موحشات دوائرُ
« كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنسٌ ولم يسْمر بمكة سامرُ »
فقلت لها والقلب مني كأنما يقلّبه بين الجوانح طائرُ
« بلى ، نحن كنا أهلها فأبادنا صروفُ الليالي والجدود العوائرُ »

٢ ـ التضمين المجزوء : هو أن يضاف مصراع من بيت إلى قصيدة على أنه منها ، وهو ليس كذلك. نحو قول الشاعر الحريري :

على أني سأنشد عند بيعي « أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا »

الشاهد هو أن المقطع الثاني ليس للحريري ، ولكنه جزء من قصيدة لأميّة بن أبي الصلت القائل :

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغرِ

٣ ـ التضمين المحرَّف : هو أن يضمّن الشاعر شيئاً من شعر غيره في شعره ، بعد أن يغيّر ألفاظه أو بعضها شريطة أن لا يؤدي هذا التغيير إلى ضياع المعنى .

مثال ذلك قول جرير :

أتعدل أحساباً كراماً حماتُها بأحسابكم ، إني إلى الله راجعُ

فقد أجابه الفرزدق بقوله :

أتعدل أحساباً لئاماً حماتها بأحسابنا ، إني إلى الله راجع

٤ ـ التضمين المقلوب : هو أن يأخذ شاعر معنى آخر ويجعله بعكس معناه في شعره .

مثال ذلك أن المتنبي أخذ قول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة شغفاً بذكرك فليلمني اللوم

فجعله :

أأحبّه وأحب فيه ملامةً إن الملامة فيه من أعدائه

الشاهد أن أبا الشيص لا يكره الملامة في الحب ، في حين أن المتنبي تناول بيت أبي الشيص لكنه عكس معناه فظهر أنه يكره الملامة في الحب .

ومن لطيف ما قيل عن التضمين قول عبير الدين ابن تميم :

أطالع كل ديوان أراه ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمّن كل بيت فيه معنى لشِعري نصفه من شِعر غيري

نماذج للتضمين

● قال أبو فراس الحمداني :

أيّها الملزمي جرائرَ قومي بعدما قد مضت عليها الليالي
« لم أكن من جناتها ، علم الله ، وإني بحرّها اليوم صالي »

البيت الثاني للحارث البكري في حرب البسوس.

● وقال إبراهيم الصولي :

أولى البريّة طرًّا أن تواسيه عند السرور الذي واساك في الحزنِ
« إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشنِ »

البيت الثاني لأبي تمام.

* * *

نماذج للاقتباس

● قال القاضي الفاضل في رد على رسالة : « ورد على الخادم الكتابُ الكريم ، فشكره ، وقرّ به نجيًّا ، ورفعه مكاناً عليًّا ، وأعاد عليه عصر الشباب ، وقد بلغ من الكِبَر عِتِيًّا.

● وقال ابن الرومي هاجياً :

لئن أخطأت في مدحيـ ـك ما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي « بوادٍ غير ذي زرعٍ »

● وقال أبو تمام راثياً :

كان الذي خفتُ أن يكونا إنّا إلى الله راجعونا

التوشيح هو أن يكون مبتدأ الكلام ينبىء عن مقطعه . وأوله يخبر عن آخره . وصدره يشهد بعجزه . حتى لو سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه . وخير الشعر ما تسابق صدوره وأعجازه ، ومعانيه وألفاظه ، فتراه سلساً في النظام ، جارياً على اللسان ، لا يتنافى ولا يتنافر كأنه وشي منمنم ، أو عقد منظّم من جوهر متشاكل . متمكن القوافي غير قلقة . وثابتة غير مرجة . . . ألفاظه متطابقة . وقوافيه متوافقة . ومعانيه متعادلة . كل شيء منه موضوع في موضعه . وواقع في مواقعه . فإذا نقض بناؤه وحلّ نظامه . وجعل نثراً . لم يذهب حسْنه . ولم تبطل جودته في معناه ولفظه[1] .

وللتوشيح أمثلة من القرآن الكريم . فمنها قوله تعالى : ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كَلمةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُون ﴾[2]. فإذا وقفت على قوله (فيما فيه) عرف السامع أن بعده (يختلفون) لما تقدم من الدلالة عليه .

ومثله : ﴿ قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾[3]. فإذا وقف على : (يكتبون) عرف أن بعده (ما تمكرون) لِما تقدم من ذكر المكر .

ومن التوشيح أيضاً أن يعرف السامع مقطع الكلام وإن لم يجد ذكره فيما تقدم . نحو قوله تعالى : ﴿ ثم جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ في الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[4]. فإذا وقفنا عند قوله (لننظر) مع ما تقدم من قوله تعالى ، علمنا أنّ بعده (تعملون) ، لأن المعنى يقتضيه .

ومن التوشيح الجيد قول البحتري :

فليس الذي حلّلتِهِ بمحلّلٍ ... وليس الذي حرّمتِهِ بحرامِ

وذلك أنك أذا سمعت صدر هذا البيت عرفت عجزه .

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ٣٠٢ .

(٢) سورة يونس ، الاية ١٩ .

(٣) سورة يونس ، الاية ٢١ .

(٤) سورة يونس ، الاية ١٤ .

ونحوه قول أحدهم :

فأما الذي يُحصيهمُ فمكثّرٌ　　وأما الذي يطريهمُ فمقلّلُ

ومثله قول آخر :

هي الدرُّ منثوراً إذا ما تكلّمَتْ　　وكالدرّ منظوماً إذا لم تكلّمِ

ومن التوشيح الرديء قول أبي تمام :

صارت المكرمات بزلاً وكانت　　أُذخِلَتْ بينها بنات مَخاضِ

وقول آخر :

فقلقلتُ بالهمّ الذي قلقل الحشا　　قلاقلَ عِيسٍ كلُّهن قلاقل

التقسيم الصحيح

التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة متساوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه[1]. نحو قوله تعالى : ﴿ هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾[2]. فالناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ليس فيهم ثالث .

ومثله قول أعرابي وقف على باب الحسَن فقال : « رحم الله عبداً أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو آثر من قلة » فقال الحسن : ما ترك لأحد عذراً .

ومثله قول نصيب :

فقال فريق القوم لا وفريقهم　　نعم وفريق لا يمُنُ الله ما تدري

فليس في أقسام الإجابة عن المطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام .

ومثله :

يا اسْمَ صبراً على ما كان من حَدثٍ　　إن الحوادث مَلْقِيٌّ ومنتظَرُ

وليس في الحوادث إلا حادث حصَل وانتهى ، وحادث منتظَر.

أنواع التقسيم

١ ـ **التقسيم الصحيح** : نحو ما قاله أعرابي : « النعم ثلاث : نعمة في

---

(١) كتاب الصناعتين، ص ٢٦٧ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ١٢ .

حال كونها. ونعمة ترجى مستقبلة. ونعمة تأتي غير محتسبة. أنت فيه. والشاهد في هذا الكلام أنه ليس في أقسام النِّعَم التي يقع الانتفاع بها قسم رابعٌ سوى هذه الأقسام.

٢ ـ التقسيم الناقص : نحو قول الشاعر :

سقاه سُقَيَتَيْن اللهُ سقياً طهوراً والغمام يرى الغماما

قال (سقيتين) ثم قال (سَقياً طهوراً) فهذه واحدة ، ولم يذكر الثانية . قيل : أراد في الدنيا وفي الآخرة ، وهذا مردود لأن الكلام لا يدلّ عليه .

ومثله قول جرير :

صارت حنيفةُ أثلاثاً فثلثُهمُ من العبيد وثلثٌ من مَواليناً

فأنشده ورجل من حنيفة حاضر . فقيل له : من أي قسم أنت ؟ فقال : من الثلث الملغى ذكره .

٣ ـ التقسيم الرديء الفاسد . نحو ما قاله ابن القرية : « الناس ثلاثة : عاقل وأحمق وفاجر » .

والواقع أن الفاجر يجوز أن يكون أحمق ، ويجوز أن يكون عاقلاً . والعاقل يجوز أن يكون فاجراً . وكذلك الأحمق . لذلك فسدت القسمة لدخول أحد القسمين في الآخر .

ومثله قول جميل بن معمر :

لو كان في قلبي كقدر قلامةٍ حبٌّ وَصَلْتُكِ أو أتتك رسائلي

فإتيان الرسائل داخل في الوصل .

ومثله قول أحدهم :

فما برحت تومي إليكَ بطرفها وتومض أحياناً إذا طرفُها غَفَلْ

فتومي وتومض واحد .

جمع المؤتلف والمختلف

المقصود بجمع المؤتلف والمختلف هو أن يؤتى في كلام قصير بأشياء كثيرة

مؤتلفة أو مختلفة . نحو قوله تعالى : ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم آياتٍ مفصّلات﴾[1] .

ومثاله قوله تعالى : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[2] .

ومثاله أيضاً في النثر[3] :

« . . . فلو عاش حتى يرى ما مُنينا به من وغد حقير . نقير . نذل . رذل . غثّ رثّ . لئيم . زنيم . أشحّ من كلب . وأذل من نقد . وأجهل من بغل . سريع إلى الشر . بطيء عن الخير . مغلول عن الحمد . مكشوف عن البذل . جواد يشتم الأعراض . سخي يضرب الأبشاد . لجوج . حقود . خرق . نزق جبر . نكد . شكس ، شرس . دعيّ . زنيم يعتزي إلى أنباط سقّاط . أهل لؤم أعراق . ودقة أخلاق . وينتمي إلى أخبث البقاع تراباً . وأمرّها شراباً وأكمدها ثياباً .. فهو كما قال الله تعالى : ﴿ والذي خبث لا يخرُج إلا نَكِدًا﴾[4] .

نماذج للمؤتلف والمختلف

● قال امرؤ القيس ، وقد جمع في هذا القول جميع أوصاف الدمع من كثرته وقلته :

فدمعهما سَكْبٌ وسحٌ وديمة ... ورشٌّ وتوكافٌ وتَنْهَمِلاَنِ

● وقال ابن الأحمر :

نقائذ برسام وحُمّى وحَصْبَةٍ ... وجوع وطاعون وفقر ومَغْرمِ

جمع في هذا البيت جميع أنواع المكروه .

● وقال سويد بن حذاق :

أبى القلب أن يأتي السدير وأهله ... وإن قيل عيش بالسدير غزيرُ

بها البقّ والحُمّى وأُسْدُ خفيّةٍ ... وعمرو بن هند يعتدي ويجورُ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٣٣ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٣) راجع كتاب الصناعتين ، ص ٣٩٩ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٥٨ .

التلـخيص

التلخيص هـو عبارة عن حصـر معاني النصّ وتفـريعاتهـا في قليـل من الألفـاظ القادرة على استيعابها. وذلك يكون تبعاً لما يلي :

(١) تحديد المضمون العامّ للنص، أو تحديد عنوان رئيس له.

(٢) تحديد الأفكار المنبثّة في سياق النص.

(٣) ربط الأفكار المشتركة منعاً لتكرارها.

(٤) النـظر في مدى مـطابقة الأفكـار الفرعيـة مـع المضمـون العـام أو العنـوان الرئيسي للنص.

(٥) اطّراح الأفكار التي لا تخـدم المضمون العام.

(٦) صيـاغة الأفكـار الفرعيـة بأسلوب مبسّط بعيـد عن التعقيد والغمـوض، مع التركيز على مراعاة علامات الوقف التي تشكل مفاصل بارزة في إبراز المعاني وتحديد الصورة المستقلة للعبارة، شريطة أن لا يحصل تدخّـلٌ خارجي فيهـا أو تصرُّف يحـوّل معاني صاحبهـا عن غرضهـا الذي وُضِعَت لـه. بل ينبغي الحفـاظ على طبيعة معـاني الكاتب أو الشاعـر. لأن دور الملَخص ينحصر في الاستنتـاج الناجم عن قـراءة سليمة للنص وإعادة صياغته،على أن تأتي هذه الصياغة قراءة أخرى مُصَغّرة له. لذلك ينبغي أن تتوفر في الملخّص الصفات التالية :

(١) الذهن الواعي، والإدراك السليم، والتأمّل القويم.

(٢) معرفة أصول النحو، لتسلم قراءته فيسلم فهمه.

(٣) معرفة أصول البلاغة، ليدرك مواضعها، ويفهم دلالاتها.

(٤) القـدرة على الاستنباط، وهـذا يحتاج إلى معـرفة مقـومات الشعـر وأصول النثر، لئلا يفوته شيء من محاسنها، ولا ينغلق عليه شأن من شؤونها.

(٥) إذاً، فـالتلخيص هـو عبـارة عن فهم معـاني النص الأسـاسيـة وصيـاغتهـا بأسلوب شخصي. ولعلّ هذا الأمر متعلّق بفنّ الإيجـاز، فليُرجـع إليه في مـوضعه من هذا الكتاب.

الاختصـــار

الاختصار هو سلوك أقرب الطرق لبيان المعنى وتوضيح الصورة.

والاختصار كالتلخيص من حيث المقدّمات التي أشرنا إليها إلا أنه يفترق عنه ببعض الخصائص ومنها:

(١) قراءة النص قراءة متأنّية سليمة، يكون الغرض منها معرفة العبارات الأساسية والعبارات الثانوية.

(٢) فرز عبارات الكاتب الأساسية، عن العبارات الثانوية.

(٣) طرح العبارات الثانوية، فتبقى الأساسيّة مبعثرة مفككّة.

(٤) توحيد المعاني المشتركة بين العبارات الأساسية.

(٥) ربط المعاني الأساسية بما يناسب هذا الربط من ألفاظ وحروف، من دون التصرّف مطلقاً بشكل العبارة لأنها ملك صاحبها.

ويمكن تحديد العبارات المحذوفة كما يلي:

١ ـ الجمل المعترضة لعدم علاقتها بالمعنى الأساس.

٢ ـ الجمل التفسيرية، لأنّها تكرار للمعنى بألفاظ مختلفة.

٣ ـ جملة القسم، لأن الغرض هو جواب القسم.

٤ ـ كل ما ورد مكرراً سواء كان جملة أم كلمة أم حرفاً، لأن التكرار نوع من الإطناب وهو بخلاف الاختصار.

إذاً، فالاختصار عبارة عن اختيار العبارات الأساسية الواردة في نص الكاتب أو قصيدة الشاعر، والحفاظ عليها بأسلوب صاحبها، دون أن يؤثر ربطها في طبيعتها شكلاً ومضموناً.

علامات الوقف أو إشارات الترقيم

علامات الوقف هي:

١ ـ النقطة، وصورتها: (.)
٢ ـ النقطتان، وصورتهما: (:)
٣ ـ الفاصلة، وصورتها: (،)
٤ ـ الفاصلة مع نقطة، وصورتها: (؛)
٥ ـ الشرطة، وصورتها: (ـ)
٦ ـ الشرطتان، وصورتهما: (ـ ـ)
٧ ـ علامة التقويس، وصورتها: ((. . .))
٨ ـ علامة التعجب، وصورتها: (!)
٩ ـ علامة الاستفهام، وصورتها: (؟)
١٠ ـ علامة الحذف، وصورتها: (. . .)

١ ـ النقطة

وتسمى الوقفة أيضاً. وتوضع في نهاية الجملة التامّة لفظاً ومعنى؛ على أنّ الجملة التي تليها تتعلّق بمعنى آخر أو سياق آخر. نحو:

ليس التفريق بين ما هو السياسة وما هو الإصلاح بالأمر الهين. بل إن التفرقة تكاد تكون تعسفية أو إصلاحية. فكل حركة إصلاحية تخدم هدفاً سياسيًا في حقيقة الأمر.

٢ ـ النقطتـان

الغاية من استعمال النقطتين هي التوضيح والتحديد. وتكون في مواضع الكلام التالية:

١ ـ بعد فعل القول. نحو:
عن رسول الله(ص)، قال: «لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة».

٢ ـ لبيان النوع. نحو:
العِلمُ عِلْمَان: علم اللسان وعلم الأبدان.

٣ ـ بين عبارتين، على أن تكون الأولى بمعنى عـام، فيأتي مـا بعدهـا محدِّداً لها. نحو قول رسول الله (ص): «لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجل آتاه الله المال فسلّطه على هَلَكِتِه في الحق، ورجل آتاه الله الحكمةَ فهو يقضي بها ويعلِّمها».

ومثل قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صـدقة جـارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له».

٤ ـ بعد التمثيل. ويأتي بأحد اللفظين: مثل أو نحو.
كقولنا: والحال المبيِّنة للهيئة مثل: جاء زيد راكباً.
وكقولنا: واشتغال الفعل بضمير السابق نحو: ﴿كُلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾[1].

٣ ـ الفاصلـة

تفيد الفاصلة تبعاً لموضعها في الكلام:
١ ـ التوقف البسيط بين جملة وأخرى على أساس أن بينهما ترابطاً في سياق المعنى العام. نحو:

إنّي أحمد الله العليّ الأكرم، الـذي علَّمَ بالقلم، علَّم الإنسـانَ ما لم يعلم، ثمَّ أُتبِعُ ذلك بـالصلاة والتسليم على المـرسَل رحمـةً للعالمين، وإمـاماً للمتّقين، وقـدوةً

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٣.

للعالمين، محمد النبيِّ الأميِّ، والرسول العربيّ، وعلى آله الهادين، وصحبه الرافعين لقواعد الدين.

٢ ـ الفصل بين الأنواع. نحو:
أفعال المقاربة ثلاثة: كَادَ، وكَرِبَ، وأَوْشَكَ.

٣ ـ توضيح العموم. نحو قول رسول الله (ص):
ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بَلَى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

٤ ـ الفصل بين المنادى والغرض. نحو:
يا زيد، قُمْ إلى الصلاة.

٤ ـ الفاصلة مع نقطة

تفيد الفاصلة مع نقطة تبعاً لموضعها في الكلام ما يلي:
١ ـ الفصل بين الجمل في سياق معانيها القائمة على أساس العلّة أو السببيّة.
نحو:

. . . ودليل الحصر أن المعاني ثلاثة: ذات، وحدث، ورابطة للحدث بالذات؛ فالذات الاسم، والحدث الفعل، والرابطة الحرف.

فالفصل راجع إلى كون العبارة الأولى مسبِّبة للعبارة الثانية.
أو كمثل قولنا:

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا هَبْ لنا من لَدُنْكَ رحمة؛ إنَّك أنت الوهَّاب﴾[1] فالفصل قائم على أساس أن الجملة الثانية هي سبب للجملة الأولى. مع الإشارة إلى أن كل جملة قائمة بذاتها، لفظاً ومعنى، والربط بينهما قائم على أساس السَبَبِيَّة.

٢ ـ الفصل بين جمل متعدّدة تشتمل على معنى عام لا تكتمل فائدته إلاّ بها، وتكون الفاصلة محطّة ارتياح وتنفّس خلال تعدّد تلك الجمل. نحو:

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨.

فإذا كان هذا الشعر عندهم اليوم، وهذه عدّة من يقرض منهم وينظم، واللغة فاسدة، واللسان مدخول، والأمر مُدْبِر، وأكثر العرب مستعجم؛ فما ظنّك بهم والعرب عرب، والدار خالصة لهم، والحضر بعيد عنهم.

٥ ـ الشَّرْطَة

وتسمى كذلك الوصلة. لأنها تصل ما بعدها من الكلام بما قبلها. وتفيد تبعاً لمواضعها في الكلام ما يلي:

١ ـ وحدة المعنى وتشير إليه، وتنبّه ذهن القارىء إلى ضرورة ربط سياق المعنى. نحو:

الرجل الذي يملك قوة الإيمان، وسلامة البيان، وحسن التدبير، ومحبة الناس له ـ هو النموذج لكل رجل مستقيم.

٢ ـ الفصل بين الجملة الشرطية المفصّلة وجوابها. نحو:

مَنْ يعمل عملاً يرى فيه فائدة لنفسه ولمجتمعه، من دون التأكّد من سلامة الوسائل، وتوفّر الإمكانات الكفيلة بتحقيق مبتغاه، مع مشاركة الآخرين له في عمله ـ فليس لعمله إلا التعثّر وسوء المآل.

٣ ـ الفصل بين العدد والمعدود لإفادة الترتيب. نحو:

وأما الفاء والواو فينتصب الفعل المضارع بأن مضمرة بعدهما وجوباً بشرطين لا بد منهما:

أولهما ـ أن تكون الفاء سببية والواو للمعية.
ثانيهما ـ أن يكونا مسبوقين بنفي أو طلب.
ويجوز أن يكون العدد الدال على الترتيب كما يلي:
أولاً ـ
ثانياً ـ
كما يجوز أن يكون أيضاً كما يلي:

١ ـ
٢ ـ

٦ ـ الشَّرْطتان

تستعمل الشرطتان لحصر عبارة أو جملة لا علاقة لها بالكلام الأصلي الجاري في النص. وتأتي في المواضع التالية:

١ ـ جملة معترضة. وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه. ثم يرجع إليه فيتمّه. نحو قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يَعِشْ ثمانين حولاً ـ لا أبالك ـ يسأمِ

ونحو قوله تعالى: ﴿وإنَّه لقسم ـ لو تعلمون ـ عظيم﴾[1]

٢ ـ للاحتراس. ويطلق على كل زيادة تجيء لدفع ما يوهمه الكلام مما ليس مقصوداً. نحو قول طرفة بن العبد:

فسقى ديارك ـ غير مُفْسِدِها ـ صوبُ الربيع، وديمةٌ تهمي

٣ ـ للتذييل، ويكون بتعقيب جملة بجملة أخرى تشتمل على معناها، لتوكيد الأولى أو لتوضيحها. نحو قوله تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا ـ وهل نجازي إلاّ الكفور ـ﴾[2].

أو كقول ابن زريق البغدادي:

والسعي في الرزق والأرزاق قد قسمت بغي، ألا إنَّ بَغْيَ المرء يصرعه

٤ ـ الاعتراض بالقيد. أي تقييد القول وتحديده بذكر أدقّ صفاته. نحو: الغُرْبَةُ ـ على مرارتها ـ تزيد ثقافة الإنسان.

٥ ـ للتفسير. نحو قول أوس بن حجر:

ولست بخابىءٍ أبداً طعاماً حذارَ غدٍ ـ لكل غدٍ طعامٌ ـ

وكقول بشار بن برد:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظَمِئْتَ ـ وأيُّ الناس تصفو مشاربه ـ؟

---

(١) سورة الواقعة، الآية ٧٦.

(٢) سورة سبأ، الآية ١٧.

٧ ـ علامة التقويس

وتسمى علامة التنصيص أيضاً، لأنها علامة يضعها الكاتب في أوّل النصّ المأخوذ من كلام الآخرين، وفي آخره. ليكون هذا مفصولاً أو مميَّزاً عن سياق كلام الكاتب الأساسي. نحو:

... وقال ابن خلدون: (ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحىٰ من سيبويه)

ومثله: عن أبي موسى (ر) قال: قال رسول الله (ص): «ألا أدُلُّك على كنز من كنوز الجنة؟». فقلت: «بلى يا رسول الله». قال: «لا حول ولا قوّة إلا بالله».

٨ ـ علامة التعجب

توضع علامة التعجُّب بعد كل جملة تامَّة تفيد:

١ ـ التعجُّب. نحو: ما أعلى هذا الجبل!

٢ ـ السرور. نحو: ما أجمل النجاح!

٣ ـ الحزن. نحو: ذهبت جهودنا أدراج الرياح!

٤ ـ الدعاء. نحو: رعاك الله يا ولدي!

٥ ـ التهديد. نحو: تبًّا للخائنين! والويل لأعداء الوطن!

٦ ـ الدهشة والاستغراب. نحو: أمر الناس عجيب! يعرفون الحق فيجتنبونه! ويدركون الباطل ويجتلبونه!

٩ ـ علامة الاستفهام

تأتي علامة الاستفهام في آخر الكلام الدالّ على استفهام. فتميزّه عن سواه من الكلام. لأنّ الاستفهام يبقى منتظراً جواباً ليتمّ مفهوم الكلام. نحو قول جميل بن معمر:

ألَمْ تسألِ الرَّبْعَ القواءَ فينطقُ؟ وهل تُخبِرَنْكَ اليومَ بيداءُ سَمْلَقُ؟

أو نحو قوله تعالى: ﴿أعَجِزْتُ أنْ أكونَ مثلَ هذا الغراب فأواريَ سوأةَ أخي﴾[1]؟

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣١.

وكقوله تعالى: ﴿هل يستوى الأعمى والبصير، أم هل تستوى الظلمات والنور﴾[1]؟

١٠ ـ علامة الحذف

يستعمل الكاتبُ هذه العلامة ليفيد بها القارىء بأنّ جزءاً من الكلام الذي أخذه عن غيره قد حذف بغية الاختصار، والاكتفاء بالعبارة المأخوذة التي تفيد الغرض. نحو:

عن ابن مسعود (ر) قال: «... فإن الله شرع لنبيِّكم (ص) سُنَنَ الهدى وإنَّهنَّ ـ الصلوات ـ من سُنَنَ الهدى».

ونحوه أيضاً: عن ابن عمر (ر) قال: كان النبيُّ (ص) يصلّي... وكأنَّ الأذانَ بأُذُنَيْه. ونحوه: قال ابن خلدون: ... كان ابن هشام ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل...

وتنبغي الإشارة إلى أنه لا يجوز استعمال علامة الحذف حيث يتبتر الكلام المنقول، منعاً لغموض المعنى، واحترازاً من العبث في الكلام المنقول.

---

(١) سورة الرعد، الآية ١٦.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر المعتمدة

- القرآن الكريم .
- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، الطبعة الأولى، ١٩٤٨، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق حسن السندوبي، الطبعة الأولى، ١٩٢٦، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، مكتبة المعارف بيروت . د.ت. د. ط .
- الكتاب، سيبويه، ط بولاق، جزءان، ١٣٦١ - ١٣ هـ.
- كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، الطبعة الأولى ، الأستانة ، ١٣٢٠ هـ .
- مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ م ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى، ١٩٤٨، مكتبة الخانجي ، مصر .
- نقد النثر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادي ، الطبعة الرابعة ، ١٩٤٨، مطبعة مصر .

المصادر المساعدة

- الأمالي ، لأبي علي القالي ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٤ م ، مصر .
- سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، مطبعة الحلبي ، ط .أولى، ١٩٥٤ .
- العقد ، لابن عبد ربه ، مطبعة الأستانة ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- القاموس المحيط ، للفيروذابادي ،ط. أولى ، ١٣٣٠ هـ . المطبعة الحسينية المصرية.
- لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر، بيروت .

المراجع المساعدة

- البلاغة وفنون القول ، للجنة من الأساتذة : جودة الركابي ، جميل سلطان ، نعيم الحمصي ، إحسان النص ، خليل هنداوي ، مطبعة المفيد، دمشق ، ١٩٥٤ .
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد، لبكري شيخ أمين :
- علم البيان ـ طبعة أولى ، ١٩٨٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت.
- علم المعاني ، طبعة أولى ، ١٩٧٩، دار العلم للملايين ، بيروت .
- البيان والبديع ، وضع وتصنيف خير الدين الأسدي ، مطبعة العصر الجديد ، حلب، ١٩٧٦.
- الجامع لفنون اللغة العربية والعروض ، لعرفان مطرجي ، طبعة أولى ١٩٨٧ ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت .
- الصحيح في البلاغة والبيان والعروض ، ميشال عاصي وفوزي القش، طبعة أولى، ١٩٥٩، مكتبة الحياة، بيروت.
- علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، طبعة ثانية ، ١٩٧٠ ، دار النهضة العربية، بيروت.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

الفهرس

الباب الثالث: علم البديع

هــذا الكتــاب

هذا الكتاب يشتمل على ثلاثة من علوم اللغة : علم البيـان ، وعلم المعاني ، وعلم البديع .

إنه محاولة جادّة لإلقاء الضوء على أصول لغتنا العربية في مجال البلاغة والفصاحة ، بعد أن تناثرت تلك العلوم في كتب ، منها المتخصّص ، ومنها المختصر المخلّ بالفائدة المرجوّة. لقد جاءت مادّته عُصارة بحث مستفيض ، ودراسة متأنيّة مقرونة بالشواهد الكافية والشروح اللازمة .

أما الأسلوب ، فقد اعتمد لغةً واضحةً بعيدةً عن الغموض والإبهام مَنْعاً لكلّ لَبْس في الفهم ، وعائق في الإدراك . وأما المصادر والمراجع ، فإنها شاملة وافية ، أضاءت الطريق، وهيّأتْ مادّة وافرة يُعْوِزُها التنسيق وحسن التعليل .

« صناعة الكتابة » هذا ، مجموعة كتب في كتاب ، بين دفتيه حقيقة علم البلاغة في بيان مشرق ولغة عذبة وسهولة في الفهم والاستيعاب .